سلسلة
المسرحيات
العالمية

64

ميغيل ده ثربانتس

مسرح الإنترمِس

ترجمة

علي إبراهيم أشقر

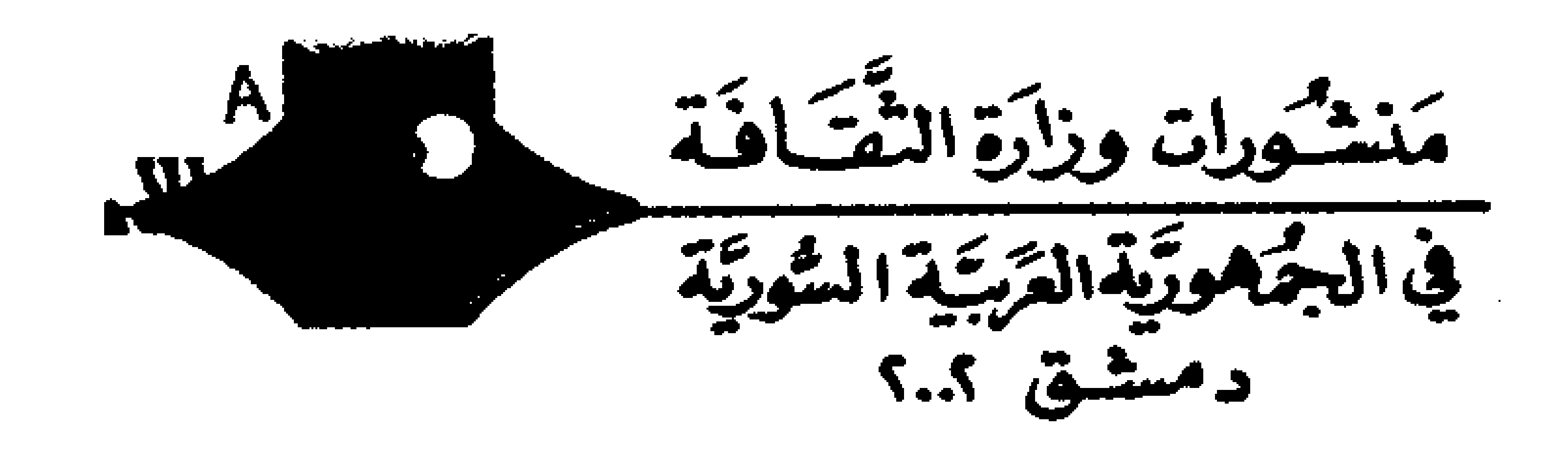
منشورات
وزارة الثقافة
ج.ع.س
دمشق
2002

ميغيل ده ثربانتس

مسرح الإنترمِس

مسرحيات عالمية

ترجمة
علي إبراهيم أشقر


مَنشُورات وزارَة الثّقافَة
في الجُمهوريّة العَربيّة السّوريّة
دمشق ٢٠٠٢

العنوان الأصلي للكتاب :

MIGUEL DE
CERVANTES SAAVDRA
OBRAS
COMPLETAS
RECOPILACIÓN,
ESTUDIO PRELIMINAR,
PRÓLOGOS Y NOTAS
POR
ANGEL VALBUENA PRAT
Catedrático de Literatura

مسرحيات عالمية
«٦٤»

مقدمة

الإنترمِس والمسرح الصغير

الإنترمس ينتمي إلى ضرب من المسرح الإسباني سُمّي بالجنس المسرحي الصغير، نما إلى جانب المسرح الكبير المعروف ولازمه وتأثر به. وقد اتخذ أشكالاً مختلفة باختلاف العصور وكتب فيه كبار الكتّاب الإسبان.

كانت البداية على يد لوبهِ ديرويدا المولود في إشبيلية عام ١٥٠٥ فيما عُرف باسم مسرح (الباسوس). والباسو قطعة مسرحية نثرية قصيرة ذات طعم وبيئة شعبيين نشأت في أواسط القرن السادس عشر؛ وكانت تُمثل في بداية المسرحية الرئيسة أو بين فصولها أو تتداخل أحيانًا في العرض الرئيس. أشخاصها نماذج اجتماعية شعبية شتّى انتقلت بعد ذلك إلى المسرح الكبير في القرن السابع عشر مفسحة المجال لظهور شخصية «الظريف gracioso».

ميزة هذه القطع تكمن في حيوية حوارها وطرافة مشاهدها المحلية؛ لذلك يُعدّ ديرويدا رائد المسرح الواقعي النثري والباعث على إبداع الإنترمس.

والإنترمس قطعة مسرحية ذات فصل واحد وطابع فكاهي ساخر. نشأ في أوائل القرن السابع عشر، أي بعد أن توطّدت دعائم المسرح الكبير على يدي لوبه ده بيغا الذي اتّجه به نحو الشعر من جهة والمواضيع ذات الصبغة الشعبية والوطنية من جهة أخرى؛ وانقسم المسرح إلى ثلاثة أقسام: مسرح البلاط، والمسرح الكنسي ومسرح الشعب. وكان هذا الأخير يقدّم أعماله في العرصات والساحات العامة وسط مجموعة من المباني. وكان المتفرّجون إما أن يجلسوا على الكراسي، أو يمتطوا الدواب أو يطلّوا من الشرفات. ولم تكن لهذا المسرح ستارة؛ فكانت الخشبة تُشغل في البرهة الفاصلة بين فصول المسرحية بفرق تغنّي أو ترقص أو تمثل قطعة صغيرة سميت بالإنترمس الذي كان يُكتب في الغالب نثراً وأحياناً شعراً. وكان كثير من المتفرّجين يقصدون مسرح الشعب لرؤية الإنترمس تحديداً، وهو ما يتواءم وأذواقهم وثقافتهم، على عكس المسرحية الأصلية التي كانت تُقدّم شعراً، وتتضمن مواضيع وتقنية قد لا يبلغها فهمهم.

وكان ثـربانتس من أوائل وأبرع من كتب الإنتـرمس، مـا لبث أن قلّده في ذلك لوبه ده بيـغـا وكـالدرون ديلاباركـا كاتب التراجيديا والمسرح الديني المشهور، وسلسلة طويلة من الكتاب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من غير أن يبلغ أحـد منهم شـأوه. أمّا في القرن العشـرين، فـقـد كـتب كـاسونا خمس مسرحيات مِن ذوات الفصل الواحد، بعضها يتماثل والإنتـرمس في الحجم، وبعضها أكبر قليلاً أو أكثر، لكنها لا تغيب عنها فكاهة الإنترمس وسخريته وطرافته أيضاً. جُمـعت تحت عنوان «لوحـات مـرحـة» صـدرت عن وزارة الثقافة في دمشق بترجمتنا.

وما إن انتصف القرن الثامن عشر حتى ازدهر نوع آخر من المسرح الصغير سُمّي (بالساينيتهِ). وكانت رد فعل على الاتجاهات الأدبية المتأوربة، والمبتعدة عن تيارات الأدب الإسباني في القرنين السابقين. والساينيته قطعة صغيرة شعرية ترسم صورة طريفة حيّة للعادات الشعبية في مدريد تلك الأيام ممثّلة بنماذج شتّى من الشخصيات من كل ضرب. قيمتها ليست في روحها الساخرة الطريفة فقط، وإنما هي تُعد وثيقة من ذلك العصر سُجّلت فيها أحداث الحياة اليومية في مدريد بدقة «وأمانة وواقعية تشبه واقعية غويا الذي تعكس لوحاته ظواهر الحياة الاجتماعية».

وفي ختام القرن التاسع عشر ظهر آخرِ نوع من هذا الجنس المسرحي تحت اسم: ثارثويلا. وهي قطعة من فصل واحد (وأحيانًا ثلاثة) يمتزج الحوار فيها بالموسيقى.

وعود على بدء نقول إن ثربانتس كتب ثماني قطع من الإنترمس يُجمع النقاد على صحة نسبتها إليه. بيد أن الناقد آنخيل بَلْبوينا يشك في نسبة الأخير (القواد الأرمل) لثربانتس، لرداءته -حسب رأيه-، ولخروجه عن مألوف كتابة المؤلف. لذلك أسقطناه من هذه الترجمة التي كان الدافع إليها قيمة هذه النصوص أدبيًا، إذْ ما تزال تُمثل على مسارح إسبانيا وبلدان أمريكا اللاتينية حتى يومنا هذا؛ ولإطلاع القارئ العربي على هذا النوع من الأدب غير المعروف عندنا؛ ولإفادة طلاب الدراسات المسرحية والفرق المبتدئة من أجل التدرّب. قدّم الناقد آنخيل بلوبينا لكل منها بمقدّمة تحلّل النص وتشرح الظروف المحيطة به.

المترجم

إنترمِس
كهف سلمنقة

الشخصيات

بنكراثيو	الزوج
ليوناردا	الزوجة
كريستينا	خادم
كاراتولا	طالب
ريونِثه	خادم الكنيسة
الحلاق	
ليونسيو	رفيق بنكراثيو

كهف سلمنقة

(إنترمس)

مقدّمة

هذا الإنترمس من أفضل الإنترمسات التي كتبها المؤلف سواء أكان بظرفه أم بحذقه أم بالحلّ الفنّي البارع لعقدته البسيطة. فهو يجمع بين موضوع السخرية من الزوج الغائب ذي الصلة ببعض قصص بوكاشيو، وبين موروث السحر الذي يُعلّم في كهف سلمنقة. فالطالب وهو نموذج لمتصعلك عليه ملامح قوّاد، يربط بين الموضوعين بسهولة فائقة. والمحاكاة الساخرة لموضوع حميم كموضوع وداع الزوجين في المشهد الأول، والسخرية من موضوع الشرف والدعارة ونقد التصديق بالخرافات تتضامّ كلها بحلاوة لا نظير لها في حوار ملئ حيوية وفكاهة. وتبرز موهبة ثربانتس في

كتابة الإنترمس في كل عبارة وفي كل لوين أكثر مما تبرز في البؤرة المركزية ذاتها على كون هذه في منتهى الجمال .

ولو قارنّا هذه القطعة المسرحية بموضوع الزوج المخدوع في مسرح (الباسوس) للوبهِ ديرويدا، وبمواضيع أخر مشابهة لكينيونِس ديبنابنْته، أو (بالدراغونثيّو) لكالدرون وهو تقليد (لكهف سلمنقة) لرأينا ضآلة شأنها وسخفها أمام كمال عمل ثربانتس؛ فالطالب المتصعلك يسخر من الفكرة المبتذلة التي كونتها الشخصيات الأخر عن الشرف، وكذلك من سرعة التصديق والرياء والخوف. والزوجة الماكرة المحتالة هي شخصية مُلئت ظرفًا. والزوج إذا نُظر إليه من الجانب المضحك فيه، أو شخصا الحلاق وخادم الكنيسة، تترك في النفس أثرًا رائعًا. ولا تخلو تحية خادم الكنيسة: «جزى الله حوذيّي عربات رغباتنا ...» من نقد على الطريقة الراقية؛ لهذا السبب، وبالإشارة إلى رجل العصابات الكريم روكهِ غيناردهِ، ولنضج الأسلوب نستطيع أن نُرجع هذا الإنترمس إلى عام ١٦١٠ أو ١٦١١ .

وطريفة هي الإشارة إلى أنواع الرقص، كالرقص الجديد المسمّى إسكارآمان الذي يبدو أنه اختُرع في القرن

١٧ . يستعمل الطالب في مشهد المناشدة صيغة مقطوعة خوان ديمينا، لإضفاء التشدّق على لهجته كما جرى العرف:

أنتم، يا مساكين دخلتم المدخنة!

ولا تخلو المسرحية من إشارة ثربانتس المميّزة إلى خمور إسكيبياس. وإذا ما شوهد العمل على المسرح تجلّت قوته الكوميدية الفائقة وشباب نغمته الدائم. لقد حقّق ثِربانتس إمكانية إبداع هزلية بالنثر لا يضاهيها في شيء سوى بعض أعمال موليير.

آنخيل بَلبوينابرات

كهف سلمنقة

(يظهر بنكراثيو وليوناردا وكريستينا)

بنكراثيو: كفكفي هذي الدموع، يا سيدتي؛ وكفّي عن التأوّه لأنّ أربعة أيام من الغياب ليست قرونًا. فسوف أعود في اليوم الخامس كحدّ أقصى إنْ أبقاني الله على قيد الحياة. وإنّي كنت أوثر أن أحنث بكلمتي على أن أعكّر صفو حياتك، فأتخلّى عن هذا السفر. لكنّ زواج أختي لايمكن أن يتمّ إلا بحضوري.

ليوناردا: لا أريد يا زوجي وسيّدي بنكراثيو، أن تبدو عديم الكياسة احترامًا لي. اذهب بالحفظ واليمن وأدّ واجبك بدقّة، وأنا سأكبس الجرح ملحًا، وأقضي وحدتي بأقلّ ما أستطيع من الهمّ. ولاأطلب منك غير العودة، ولا تتجاوز المدى الذي حدّدته. أمسكيني، يا كريستينا. لشدّ ما ينقبض قلبي! **(يُغشى عليها)**.

كـريسـتينا: أوه! بعداً للأعراس والأعيـاد! في الحقيقـة، لو كنت مكانك يا سيدي، لما ذهبت.

بنكـراثيـو: ادخلي يا بنيّتي، وهاتي كوبًا من الماء نرشّه على وجهها. بل انتظري. سأسرّ في أذنها كلمات لها قوة تجعلها تفيق من الإغماء. (**يبثّها كلماتٍ. وتستردّ ليوناردا وعيها قائلة**)

ليـونـاردا: كفى! كان لا مفرّ لي من الإغماء. وما عليّ إلاّ أن أتجمّل بالصبر. كلما أطلت مكوثك يا حبيبي، أرجأت سروري. لا شكّ في أن رفيقك ليونسيو ينتظرك في الغربة. سرْ برعاية الله الذي سيعيدك إليّ سريعًا سالمًا كما أرغب.

بنكـراثيـو: إن كـان يسـرك يا مـلاكي، أن أبقى فلن أتـحـرك حتّى يتحرك التمثال.

ليـونـاردا: لا، لا، يا عنوان راحـتي. فسروري من سرورك الذي يتـحقّق الآن في السـفـر وليس في البـقـاء. وشرفك شرفي.

كريسـتينا: يا نعم الزواج! أقسم لو أن كل الزوجات أحببن أزواجهنّ كـمـا تحبّ سـيـدتي ليـوناردا زوجـهـا لكان لهنّ شأن آخر.

ليـــونـاردا: ادخلي يا كريستينا وهاتي معطفي؛ لأني أريد أن
أشيّع زوجي حتى يركب العربة .

بنكراثيــو: لا ، وحــبّي لك! عـــانقــيني وظلّي مكانك .
كريســتينا! احـرصي على إدخـال السرور على
قلـب ســيـدتك، أجـلب لك حـذاء يعـجبك
متى عدت .

كــريســـتينا: اذهب، يا سيدي، ولا تهـتمّ لسيـدتي . لأني
أفكّـر في إقنـاعـهـا بتـسليـة تجـعلهـا لا تـشعـر
بالوحشة لافتقادك .

ليـــونـاردا: أ أنا أتسلّى؟ ما أبعـدك عن الصـواب، يا فتـاة!
بغياب من يبعث السرور في نفسي، لا أجد لذّة
ولا هناء وإنما حزنًا وألمًا .

بنكراثيــو: أصبـحت لا أطيق هذه المـعـاناة . وداعًا، يا نور
هاتين العينين اللتين لن تجدا شيئًا تلذّان به إلى
أن ترياك مرة أخرى . (**يذهب**) .

ليـــونـاردا: فلتضرب الصاعقة بيت آنا ديّاث! اذهبْ من غير
عودة ذهاب الدخان في السماء . فلن تفيدك هذه
المرّة شجاعتك ولا حذرك .

كــريســـتينا: خشيت ألف مرّة أن تعرقلي بمغالاتك رحيله،
وتمنعي المسرّة عنا .

ليــونـاردا: ألن يأتي الليلة من ننتظرهما؟

كــريســـــتينا: ولمْ لا؟ سبق لي أن أنذرتهما. وهما على علم برحيله، حتى أنهما أرسلا إلينا هذا المساء مع كاتمة أسرارنا الغسّالة قفةً مصرورة بالثياب، وملأى بالهدايا وأصناف الطعام حتى تبدو سلّة من السلال التي يتصدّق بها الملك على الفقراء يوم خميس الأسرار. غير أن السلّة كانت سلّة فصح: فيها شطائر ولحم وطعام لذيذ وفرّوجان رخصان، وكل صنف من فاكهة الموسم، وخاصة باطيّة فيها ربعيّة من الخمر ذي الرائحة النفّاذة.

ليــــونـاردا: خادم الكنيسة ريبونثه حبّة قلبي، تامّ الخلق جداً، وكان كذلك دائماً.

كــريســـــتينا: لكن، أيّ شيء ينقص معلّمي الحلاّق فلذة كبدي وموسى كوابيسي التي يحلقها ويزيلها متى رأيته وكأني لم أعانِ منها؟

ليــونـاردا: أو تسلّمت السلّة؟

كــريســــتينـا: وضعتها في المطبخ وغطّيتها بالمريلة تمويهاً.

(يقرع الطالب كاراتولا الباب، ثم يدخل من غير أن ينتظر جوابًا).

لــيــونــاردا: انظري من الطارق.

الـطــالــب: أنا، يا سيدتي، طالب فقير.

كــريســــتينـا: يبدو عليك جيدًا أنك طالب وفقير. من ثيابك عرفناك طالبًا. ومن وقاحتك علمناك فقيراً. حالة ولا أغرب! فلا نرى فقيراً ينتظر عند الباب حتى يُؤتى بصدقة، بل يقتحم البيت حتى آخر زاوية فيه من غير مراعاة لأحد نائمًا أم لا.

الـطــالــب: كنت أتوقّع منك جوابًا ألطف من جوابك هذا يا سيدتي؛ لأني لا أرغب في صدقة ولا أبحث عنها. وإنما عن إسطبل أو متبن أحتمي به من قسوة الطقس الذي يهدّد الأرض، كما أرى، بويلٍ شديد.

لــيــونــاردا: ومن أين أنت؟

الـطــالــب: أنا سلمنقي، يا سيدتي. أعني أني من سَلَمَنْقَة. كنت ذاهبًا إلى روما مع عمّي الذي مات في

الطريقَ ونحن في قلب فرنسا. فعزمت على العودة إلى بلدي. فسرت وحيداً؛ وسلبني خدم روكه غينارْده ورفاقه في قطالونية. لأن روكه هذا كان غائباً، ولو كان حاضراً لما سمح بأنَ يَلْحق بي ضرر. لأنه مهذب جداً وسهل الطبع. وهو، فوق ذلك محسن. وقادني الليل إلى هذه الأبواب الطاهرة. هكذا حكمت عليها، وفيها أطلب ملجأ.

ليونادا: إذا شئتِ الصدق يا كريستينا، حرّك فيّ هذا الطالب مشاعر الحزن.

كريستينا: ومزّق حشاي أيضاً. فليْبتْ هذه الليلة في البيت، فمن فائض القصر يُطعم جيش، أعني أنه من فضلات السلّة يمكنه أن يسدّ جوعه. وسوف يساعدني، فوق ذلك، على نتف الفرّوجين المرسلين إلينا في السلّة.

ليونادا: لكن، كيف تريدين يا كريستينا، أن نُدخل البيت شاهداً على طيشنا؟

كريستينا: هيئته توحي بأنه يتكلّم من قفاه كما يتكلّم من فمه. تعالَ إليّ يا صديق. أتعرف النتف؟

الطـالـب: أنّى لي معرفة النتف؟ لا أعرف معنى للنتف إلا إذا كنت تعـيّرينني بأنني أصلع. ولا داعي لذلك، فأنا أقرّ بأني أعظم أصلع في الدنيا.

كـريسـتينا: لا أقـصد ذلك، يا روحي. إنما لأعلم إن كنت تعـرف نتف فرّوجين أو ثلاثة أزواج من الفراريج.

الطـالـب: عن ذلك أجيب يا سيدتي: إنني بفضل من الله، مجاز من إحدى ثانويات سلمنقة. ولا أقول...

لـيـونـاردا: إذًا، من يشك في أنك لا تعـرف نتف فـراريج فقط، وإنما إوزّ وحبارى؟ وكيف قدرتك على حفظ السـرّ؟ بقول آخر، أيغريك إفشـاء كلّ ما تراه وتتخيّله وتحسّ به؟

الطـالـب: على هذا الشكل، تستطيعان أن تقتلا أمامي من الرجال أكثر مما يُقتل من الخراف في المسلخ، فلن أفتح شفتي لأقول كلمة واحدة.

كـريسـتينا: إذًا، أغلقْ فمك وخِطْ لسانك بإبرة من طرفيه، وعضّ على أسنانك، وادخل مـعنا. ولسـوف

ترى أسراراً وتتعشّى عجائب، وتستطيع أن تمهّد لك في المتبن سريراً بالطول الذي تريد.

الطالب: سبع أقدام تفيض عني. فأنا لست طمّاعًا ولا مرفّهًا.

(يظهر خادم الكنيسة ريبونثه والحلاّق).

خادم الكنيسة: جزى الله خيراً، حوذيّي عربات لذّاتنا وأدلائها، وأنوار ظلماتنا والإرادتين المشتركتين اللتين تصلحان أن تكونا قواعدَ مصنع غرام رغباتنا وأعمدته.

ليوناردا: هذا وحده يثير سأمي، يا ريبونثه. بحياتك تكلّم بالطريقة العصرية حتى أفهمك، ولا تحلّق إلى حيث لا أستطيع بلوغك.

الحلاّق: أمّا أنا فأتكلّم باستواءٍ يفوق استواء نعل حذاء، فأسمّي الخبز خمراً، والخمر خبزًا، أو كما جرت العادة.

خادم الكنيسة: نعم؛ وما أكبر الفرق بين خادم كنيسة يعرف النحو، وبين حلاّق يؤمن بالخرافات!

كريستينا: ما أطلبه إلى صاحبي الحلاّق أن يعرف كثيراً من اللاتينية بعد أن قرأ أنطونيو نبريخا[1]. وموضوع نقاشنا ليس العلم ولا كيفية الكلام. وكل امرئ يتكلّم على الأقلّ كما يعرف، إن لم يكن كما يجب. فلندخلْ ولنباشر العمل، فلدينا منه كثير.

الطالب: وكثير من النتف.

خادم الكنيسة: من هذا الرجل؟ فليذهب بحفظ الله وأنا أعطيه زوجاً من الريالات للعشاء وللمبيت.

الطالب: سيدي خادم الكنيسة، أرحّب بعطفك وصدقتك، وأشكرك عليهما. لكنني أخرس، وفوق ذلك، أصلع كما تشتهي هذه السيدة الخادمة التي دعتني للطعام. وأقسم، إني لن أغادر الليلةَ هذا البيتَ ولو أمرني كلّ من في الدنيا. فما ظنّك يا سيد، بسيّء الحظ مثلي يرضى أن ينام في متبن؟ أمّا الفراريج فلينتفْها من يشاء، وليأكلوها هم ولتغصّ حلوقهم بها.

---

(١) ١٤٤١-١٥٢٢ من كبار الإنسانيين في إسبانيا، وواضع أول كتاب في قواعد اللغة القشتالية - المترجم.

الحلاّق: يبدو هذا قوّاداً وليس فقيراً. وهيئته تضاهي هيئة كل من في البيت.

كريستينا: لا أقول شيئًا حسنًا حتى أرضى عن الهمّة والنشاط. ولندخلْ جميعًا ولننظّمْ كل ما ينبغي لنا عمله. فلينتف الفقير الدجاج وليسكت كما في القدّاس.

الطالب: أو كما في صلاة المساء.

خادم الكنيسة: هذا الطالب الفقير أثار خوفي. وأراهن على أنه يعرف اللاتينية خيراً مني.

ليوناردا: من هنا هذا النشاط الذي يتمتّع به. لكن، لا تأسف يا صديقي، على عمل الإحسان. فلا يضيع مع الإحسان شيء.

(يذهبون جميعًا. ويظهر ليونسيو رفيق بنكراثيو وبنكراثيو ذاته).

الرفيق: أدركت سريعًا أن الدولاب سيتعطّل؛ كل مؤجّري العربات أخسّاء. ولو دار الدولاب قليلاً وتجاوزنا الغور لأصبحنا على بعد فرسخين من البلدة.

بنكراثيو: هذا لا يجديني شيئًا. يسرّني أن أعود وأقضي هذه الليلة إلى جانب زوجي ليوناردا بدلاً من أن أقضيها في الخان. لأني ودّعتها هذا المساء وهي على شفا الانهيار على رحيلي.

الرفيق: ما أعظم هذه المرأة! لقد أحسنت إليك السماء بها، يا رفيقي! فاشكرها على ذلك.

بنكراثيو: وأنا أشكرها كما أستطيع وليس كما يجب. ليس لها عديل بين النساء، وهي مقر الشرف والحياء.

الرفيق: لو لم تكن زوجي غيوراً، لكانت منتهى مناي. سأسلك هذا الشارع، لأنه أقرب إلى بيتي. واسلك، أنت يا رفيق تلك الشوارع تصل بيتك سريعًا. وسنلتقي مرة أخرى غداً، ولن نعدم عربة للسفر. وداعًا.

بنكراثيو: وداعًا!

(يذهبان كلاهما. يظهر مرة أخرى خادم الكنيسة والحلاّق حاملاً كلّ منهما غيتارًا؛ ثم ليوناردا وكريستينا والطالب. يظهر خادم الكنيسة وقد شمّر قفطانه وشدّه عند الخصر.

ويرقص على إيقاع غيتاره نفسه، وعند كل وثبة يردّد هذه الكلمات).

خادم الكنيسة: ما أجمل ليلتنا! ما أحلى لقيانا! ما أطيب عشاءنا! ما أجمل حبّنا!

كريستينا: سيدي خادم الكنيسة، الوقت غير ملائم للرقص. فلْتأمر بالعشاء وبالأشياء الأخر. واترك الرقص إلى فرصة أفضل.

خادم الكنيسة: ما أجمل ليلتنا! ما أحلى لقيانا! ما أطيب عشاءنا! ما أجمل حبّنا!

ليوناردا: دعيه يا كريستينا. أنا مسرورة جداً بالفرجة على مهارته.

يقرع بنكراثيو الباب ويقول:

بنكراثيو: يا نائمون. ألا تسمعون؟ ما لكم أغلقتم الأبواب باكراً جداً! لا شك أن وراء ذلك حذرَ حبيبتي ليوناردا وحرصها.

ليوناردا: يا لتعاستي! هذا زوجي بنكراثيو. أعرفه من صوت دقّاته. شيء ما طرأ له جعله يعود. تجمّعوا يا سادة في المفحمة، أعني في

المستودع حيث الفحم. اهرعي يا كريستينا
وقوديهم إليه، بينما ألهي بنكراثيو
ريثما تصلون.

الطالب: يا لقبح الليل! ومرارة اللقاء! وسوء العشاء!
وضرر الحب!

كريستينا: يقينًا ستكون حفلتنا هادئة! تعالوا جميعًا.

بنكراثيو: ما هذا؟ لِمَ لا تفتحون يا لصوص؟

خادم الكنيسة: أنا لا أريد أن يكون مصيري مصير هذين
السيدين. فلْيختبئا هما حيث يشاءان. أمّا أنا
فخذيني إلى المتبن. فإذا عُثر عليّ فيه بدوت
فقيرًا وليس قوّادًا.

كريستينا: سيروا! سيتحطّم البيت من الضرب
على الباب.

خادم الكنيسة: روحي صعدت حتى صارت بين أسناني.

الحلاّق: أمّا روحي، فهي بين عقبي. **(يذهبون جميعًا
وتطلّ ليوناردا من النافذة).**

ليوناردا: من هناك؟ من الطارق؟

بنكراثيو: هذا أنا زوجك، يا ليوناردا. افتحي! مضى عليّ نصف ساعة وقد حطّمت الأبواب دقًّا.

ليوناردا: أمّا الصوت فيُخيّل إليّ أني أسمع صوت زوجي الحبيب. لكنّ صياح ديك قد يشبه صياح ديك آخر، ولست مطمئنّة.

بنكراثيو: أوه! هذا حذر غير معهود من امرأة حكيمة. أنا يا حياتي، زوجك بنكراثيو. افتحي وأنت في غاية الأمان.

ليوناردا: تعالَ هنا، ولسوف أتحقّق منك الآن. ماذا صنعتُ لما رحل زوجي هذا المساء؟

بنكراثيو: تأوّهتِ وبكيتِ، وفي النهاية أُغمي عليك.

ليوناردا: صدقت. ومع ذلك كله، قل لي: ما العلامة المميّزة الموجودة على كتفي؟

بنكراثيو: على كتفك اليسرى شامة بحجم نصف ريال عليها ثلاث شعرات كأنها ثلاثة خيوط من ذهب.

ليوناردا: صدقت، لكن، ما اسم خادمة البيت؟

بنكراثيو: ما لك يا غبيّة! لا تكوني مضجرة. اسمها كريستينا. ماذا تريدين أيضاً؟

ليوناردا: كريستينيكا! كريستينيكا! إنه سيدك. افتحي الباب، يا بنت!

كريستينا: سأفعل يا سيدتي! أهلاً وسهلاً به. ماذا جرى يا سيدي؟ ما الذي جعل عودتك سريعة؟

ليوناردا: آي، يا حبّي! قل لنا السبب. لأن خوفي من حدوث شيء لك، يكاد يقضي عليّ.

بنكراثيو: لم يكن شيء آخر غير تحطّم الدولاب عند الغور. وقرّرنا أنا ورفيقي، أن نعود ولا نقضي الليل في العراء. وسنبحث غداً عن وسيلة تقلّنا، فلدينا فسحة من الوقت. لكن، ما هذه الأصوات؟

(صوت الطالب من الداخل كأنه قادم من بعد كبير).

الطالب: افتحوا يا سادة! إني أختنق.

بنكراثيو: أهذا الصوت في البيت، أم يأتي من الشارع؟

كـــريســـــتينــا: فلأُقتلْ إن لم يكن صوت الطالب الفقير الذي حبسته في المتبن ليبيت هذه الليلة هنا.

بنــكــراثيـــو: أطالب محتبس في بيتي وفي غيابي؟ هذا قبيح! في الحقيقة يا سيدتي، لو لم أكن واثقًا بنزاهتك الكبيرة، لأثار فيّ هذا المحبوس شيئًا من الشك. لكن، اذهبي يا كريستينا وافتحي له. لا ريب في أن التبن انهار كله فوق رأسه.

كـــريســـــتينــا: سمعًا وطاعة!

لـيـــونــاردا: سيدي، إنه طالب فقير من سلَمنقة، طلب أن نأويه هذه اللية حبًّا بالله ولو في المتبن. وأنت تعلم أني لا أستطيع رفض شيء مما يُطلب منّي. فحبسناه هنا. فانظر إليه، وانظر كيف هو حاله.

(تظهر كريستينا والطالب وقد مُلئت ذقنه وثيابه ورأسه تبنًا).

الـــطـــالــــب: لو لم أكن شديد الخوف، أو كنتُ أقلّ حذرًا لكنتُ تجنّبت خطر الاختناق في المتبن،

ولتعشّيت عشاء أفضل، ولنمتُ في سرير أهنأ وأقل خطراً.

بنكراثيو: ومن ينبغي له يا صديق، أن يقدّم لك عشاء أفضل وسريراً أهنأ؟

الطالب: مَنْ؟ شطارتي. بيد أن الخوف من العدالة يجعلني مشلول اليدين.

بنكراثيو: لابدّ لشطارتك من أن تكون خطرة حتى تخشى العدالة.

الطالب: تلقّيت في كهف سلمنقة حيث وُلدت، علماً لو سمحت لنفسي باستعماله دون خشية من محاكم التفتيش، لعلمت كيف أتعشّى مرة بعد أخرى ممّا أكسبه. وربما لستُ بعيداً عن استعماله هذه المرّة أيضاً بدافع الضرورة التي تُوجد لي عذراً. لكني لا أدري إن كانت هاتان السيدتان تكتمان السرّ كما كتمته.

بنكراثيو: دعك منهما يا صديقي، بل اصنع ما تشاء. وسوف أرغمهما على السكوت. وإني في غاية

الشوق لرؤية بعض من هذه الأشياء التي يُقال إنها تُعلّم في كهف سلمنقة.

الطالب: ألا يرضيك يا سيدي، أن أُخرجَ لك من هنا شيطانين بصورة رجلين يحملان على كتفيهما سلّة ملأى باللحوم والأطعمة؟

بنكراثيو: أشياطين في بيتي وفي حضرتي؟

ليوناردا: يا ربي! احمني مما لا أعرف أن أحمي نفسي منه.

كريستينا: الشيطان تلبّس صورة الطالب نفسه. أرجو من الله أن تنتهي هذه «الطبخة» على خير! أشعر بقلبي يرتجف داخل صدري.

بنكراثيو: حسن! سأتسلّى برؤية هذين الشيطانين حاملين سلة الطعام شرط أن يكونا من غير خطر، ولا يثيران خوفًا. وأحذّرك مرة أخرى أن يكون شكلاهما غير مفزعين.

الطالب: أقول إنهما سيظهران بصورة خادم الكنيسة وصديقه الحلاّق.

كريستينا: لعلّك تشير إلى خادم الكنيسة ريبونثه ومعلّمي روكه الحلاق. ما أتعسهما إذا تحولا إلى شيطانين! قل لي يا أخ: أو ينبغي لهذين الشيطانين أن يكونا معمّدين؟

الطالب: ما أحلى هذه الطرفة! وأين رأيت شياطين معمّدة؟ ولِمَ ينبغي للشياطين أن تُعمّد؟ لكنني أميل إلى الظن بأن هذين معمّدان فعلاً، لأنّ لكلّ قاعدة استثناء. تنحّوا جانبًا. وانظروا العجائب.

ليوناردا: **(إلى جانب)**. آه منك، يا تعيس! سيتصدّع أمري، والآن سيُكشف سوء فعلي! والآن سوف أموت.

كريستينا: **(إلى جانب)**. تشجّعي، يا سيدتي. قلب شجاع يطيح بسوء الحظ.

الطالب: أنتما، يا مسكينان وجدا ملجأ في مستودع الفحم، اخرجا وضعا على كتفكيما بسرعة ورفْق سلّة الطعام. لا تدفعا بي إلى الطلب إليكما بوسيلة أقسى. اخرجا! ماذا تنتظران؟

أقسم، إن رفضتما الخروج، فسوف تكون عاقبة خصامي وخيمة. لابأس! أنا أعرف كيف أتصرّف مع هذين الشيطانين البشريين. أريد أن أدخل عليهما وأنفرد بهما، وآمرهما بصوت قوي يجعلهما يخرجان؛ لكن هذين الشيطانين من نوع تجدي معه النصيحة واللطف أكثر من الحثّ والإلحاح.

بنكراثيو: أقول إذا نجح هذا الرجل فيما قال، فسيكون ذلك أحدث وأعجب ما رآه العالم.

ليوناردا: سوف ينجح. ومن يشك في ذلك؟ ولِمَ ينبغي له أن يخدعنا؟

كريستينا: أسمع أصواتًا في الداخل. أراهن أنه يجرهما جراً. وها أنا ذا أراه عائداً بصحبة الشيطانين حاملَيْن السلّة.

ليوناردا: يا الله! ما أكبر الشبه بين حاملِي السلّة وبين خادم الكنيسة وحلاّق الساحة.

كريستينا: انتبهي، يا سيدتي: إذا حضر الشيطان، فلا ينبغي لك أن تقولي: يا الله!

خادم الكنيسة: قولا ما تشاءان، لأننا مثل كلب الحدّاد الذي ينام على صوت المطارق، فلا يفزعه أو يقلق راحته شيء.

ليـونـاردا: اقتربا كيما آكل شيئًا مما في السلّة. ولا تنتقيا الرديء منه.

الطـالـب: أنا سأتذوقّه تذوقًا. وسوف أبدأ بالخمر. (يشرب). ماأطيبه! أليس هو من خمر إسكيبياس؟

خادم الكنيسة: من خمر إسكيبياس هو.. وأقسم...

الطـالـب: حسبك الله! ولا تمضِ إلى الأمام. أنا مالي ولكلّ شيطان حلاّف! يا شيطان، يا شيطان لم نأتِ هنا لارتكاب الخطيئة المميتة، بل لنقضي ساعة من اللهو والمتعة ولنتعشى ثم ننصرف بحفظ الله.

كـريسـتينا: أو ينبغي لهذين أن يتعشيا معنا؟

بنكراثيـو: لكن الشياطين لا تأكل.

السـحـلاّق: بلى! بعضها يأكل، لكن ليس كلها. ونحن من التي تأكل.

كـريســــتينا: أي، يا سادتي! فليظلّ هذان الشيطانان هنا. لقد جلُب العشاء. وسيكون من قلّة الكياسة أن نبقيهما ميتين من الجوع؛ ويبدو عليهما أنهما شريفان جداً، ورجلا خير كبيران.

ليـونـاردا: فليبقيا على الرحب والسـعة! إذا كانا لا يخيفاننا، وإذا رضي زوجي بذلك.

بنـكراثيــو: فليظلاّ! أريد أن أرى ما لم أره قط.

الـحـلاّق: جزاكم الله خيراً على إحسانكم، يا سادة.

كـريســــتينا: آي، ما أحسن تربيتهما! وما أشدّ تهذيبهما! لم يخطر في بالي أن تكون الشياطين مثل هذين، أو أن تصبح أصدقائي منذ الآن فصاعداً.

خادم الكنيسة: اسمعوا، إذاً، لكي نتحابّ بصدق. **(يعزف الخادم ويغنّي، يرافقه الحلاّق بترديد البيت الأخير فقط).**

اسمعوا يا من تعرفون قليلاً

ما سوف أقوله بلسان فصيح

عمّا يحويه من الخيرات،

الــحــلاّق: كهف سلمنقة .

خادم الكنيسة: اسمعوا ما كتبه عنه

المجاز تودانكا

على جلد فرس

(بل يُزعم أنها مهرة)

اقتطعه من الخاصرة

قرب الكفل ،

رافعًا فوق السحب

الــحــلاّق: كهف سلمنقة .

خادم الكنيسة: فيه يدرس الأغنياء

ومن لا يملكون شروى نقير

وتصبح الذاكرة الضعيفة

فيه كاملة غنيّة ،

ويجلس من يعلّمون فيه

على مقاعد من خشبٍ قطراني

لأن هذه الأبّهة يحتويها

الـــحـــلاّق: كهف سلمنقة .

خادم الكنيسة: فيه يتثقّف

عرب بالانكا .

وأغبى طالب

ينتزع العلم من أحضانه ؛

ومن يتعلّم فيه

يُحط بكل شيء علماً .

يعيش إذًا، قرونًا طويلة

الـــحـــلاّق: كهف سلمنقة .

خادم الكنيسة: وإذا كان من دعانا

حقّـاً من لورانكا

فليكنْ له فيها مئة ألف كرمة

من أعناب حمر وبيض .

وليُضرب من يشي به بالنبّوت .

وهذا لا ينفع معه

الـــحـــلاّق: كهف سلمنقة.

خادم الكنيسة: كفى! وهل الشياطين شعراء؟

الـــحـــلاّق: بل كل الشعراء شياطين.

بـنـكـراثيـــو: إذا كانت الشـــياطين تعرف كل شـــيء، فقل لي يا سيد: أين نشأت هذه الأنواع من الرقص بدءاً من الثارابنْدا، والثمبابالو، والإيّوميبيسا، وانتـــهـــاء بـهـــذا الـرقـص الجـــديـد المشهور: الإسكارآمان؟

الـــحـــلاّق: أين؟ في الجحيم نشأت، وعنه صدرت.

بـنـكـراثيـــو: وهذا ما كنت أخمنّه.

لـيــــونـاردا: أميل في الـواقـع، إلى رقص الإسكارآمـان. لـكـنـي لا أجـرؤ على رقـصـه حـفـاظًا على شرفي وسمعتي.

خادم الكنيسة: أستطيع أن أعلّمكيه بأربع حـركـات كل يوم. وخـلال إســـبـوعـين تصـبـحـين أشــهـر من يرقصه. أنا أعلـم أنك لا تحتاجين إلا إلى القليل حتى تعرفيه.

الطالب: كل شيء سيكون على ما يُرام. فلندخل الآن للعشاء. وهذا هو المهم.

بنكراثيو: فلندخل لأني أريد أن أتثبّت إن كانت الشياطين تأكل أم لا، إضافة إلى مئة ألف شيء آخر تُحكى عنها. وأقسم بالله، لن أدعهما حتى يعلّماني العلم أو العلوم التي تُعلم في كهف سلمنقة.

إنـتْرمِـس
انتخاب عمدة داغانْثو

الشخصيات

بندورو	عضو المجلس البلدي
ألغارّوبا	عضو المجلس البلدي
بِسونيا	حامل الثانوية
بدرو إسْتِرْنودو	كاتب
خوان برّوكال	مرشحون لمنصب العمدة
هوميّوس	
ميغيل خَرّيته	
بدرو رانا (الضفدع).	
أحدهم	
غجر	
سادن الكنيسة	

انتخاب عمدة داغانثو

(إنترمِس)

مقدّمة

لعلّ هذا الإنترمِس المكتوب شعراً ينتمي إلى المرحلة الأولى من حياة ثربانتس. يدل عليه استعمال الشعر الحر والألفاظ وملاحظة عادات القرية، التي تتطابق والمرحلة المتنقلّة من حياة المؤلّف بين عامي ١٥٨٧ و١٦٠٠، وتضع المسرحية قريباً من تلك الأعوام. وهو لا يخلو عند ذكر الخمور من الإشارة المميّزة لإسكيبياس موطن زوج ثربانتس.

يقتصر ثربانتس في الظاهر على رسم لوحة شبه كاريكاتورية للقرية، دون عمل فيها تقريباً؛ كاجتماع الحكام ودخول المرشحين لمنصب العمدة، ورقص الغجر وظهور سادن الكنيسة المفاجئ ثم بقاؤه؛ يكاد لا يوجد فيها من ناحية

الشكل تقدّم على تقنية مسرح (الباسوس) للوبه ديرويدا. لكنّ ثربانتس يطلّ علينا في كل تفصيل من تفاصيل هذا الإنترمس البسيط، بمقصده وسخريته ونقده ونبل روحه.

وإلى جانب رسم طباع رجال القرية، واللعب بتبادل ألفاظ العتاب التي طالما استعملها بفكاهة في رواية الدون كيخوته الخالدة إزاء سانشو، تبرز كثير من المظاهر الطريفة. فموضوع ذوّاقة الخمر الذي يحكي عنه ألغارّوبا هو عين ما يرويه سانشو لتابع فارس الغابات أو المرايا في نهاية الفصل ١٣ من الجزء الثاني من الكيخوته. وفي سخريته تلك يقتفي أثر إيراسموس، لما جعل الفلاح هوميّوس يقول مفتخراً إنه لا يعرف القراءة، ويعبّر على هذا الشكل:

لن تجد في نسبي

من تلطخ بهذا العار

فأكبّ على تعلّم هذه الخرافات

التي تقود الرجال إلى الجحيم

والنساء إلى بيوت الدعارة.

أمّا بدرو رانا فيجسّد أولاً نموذج العمدة العادل المستقيم. إذْ يعلو وسط سخرية الإنترمِس صوته النبيل الكريم

الذي يتماثل وصورة القاضي المثالي الذي حدس بها ثربانتس في مواضع شتّى وطوّرها خاصة في حكم سانشو لجزيرة برتاريا. فرانا يريد أن تكون عصا العمدة غليظة ومن بلّوط أو سنديان:

كيلا يثنيها ثقل لطيف

يشكله جراب من الدوكادات أو أعطيات أخر.

* * *

سأكون كيّسًا ومهذّبًا

وصارمًا من جهة، لكن من غير قسوة قط.

ولن أهين البائس الذي

تجعله ذنوبه يمثل أمامي.

فلا يحسن بالسلطة أن تنزع عنّا حسن الأدب.

وينتعش الإنترمس بدخول الغجر. وبين رقصهم نجد الرقص المشهور:

سأطأ الغَبَرَةَ

مرة بعد مرّة.

والمذكور أيضًا في قصّة رينكونيته. في ظهور سادن الكنيسة نقد واضح لتدخّل العنصر الكنسي في الشؤون

المدنية. فيُسمع هنا أيضًا صوت رانا النبيل على شكل درسٍ نموذجي لا تغيب عنه نبرة ثربانتس لما قال للسادن:

أينبغي لك أن تحكم البلد؟

اهتمّ بأجراسك ووظيفتك الدينية.

ودعِ الحكّام، فهم يعرفون

ما ينبغي لهم أن يصنعوه خيراً منّا.

فإذا كانوا أشراراً، فصلِّ لكي ينصلحوا.

وإذا كانوا أخياراً فصلِّ كيما يبقيهم الله لنا.

ويُختتم الإنترمِس بقرار حامل الثانوية وقارئ اللاتينية والمستشهد بها، والذي يبدو منذ البدء أنه سيختار رانا عمدة، وبرقصهم جميعًا الرقص الجديد: سأطأ الغبرة...

انتخاب عمدة داغانثو

(إنترمِس)

(يظهر حامل الشـهادة الثانوية بِسونيا، والكاتب بِدْرُوإستِرْنودو، وعضوا المجلس البلدي بندورو، وآلونسو آلغارّوبا)

بَنْدورو: اطمئنوا؛ كلّ شيء سيكون على ما يرام، إن شاءت السماء المباركة ذلك.

آلغارّوبا: لنقم بذلك سريعًا ومن غير رشوة.

بَنْدورو: اطمئنّ! لن نلبث غير قليل حتى ننجز المهمّة جيّدًا، إن شاءت السماء.

آلغارّوبا: شاءت أم لم تشأ، المهم الإنجاز.

بَنْدورو: ما أشدّ زلل لسانك، يا آلغارّوبا! تكلّم بتهذيب وصواب. «شاءت أم لم تشأ السماء»، كلمات لا تقع موقعًا حسنًا مني. وأقسم إنك تخبط خبط عشواء في كل شيء، على زعمك أنك حكيم جداً.

آلغارّوبا: أنا مــسيــحي قـحّ من كل جـانب، وأؤمن باللـه وقدماي مصفوفتان.

حامل الثانوية: هذا حسن! وهو أقصى ما نرغب فيه.

آلغارّوبا: وإذا صـدف لي أن تكلّمت بسـوء، فـأنا أقـرّ بأني أحمق، وأعدّ ما قلته كأنْ لم يُقل.

إسترِنودو: كـفى! لا يطلب الله من أسـوأ الخطاة سـوى أن يحيا ويتوب.

آلغارّوبا: أقول إني أحيا وأتوب، وأعلم أن السـماء تستطيع صنع ما تشـاء من غير عون من أحد، خاصة إذا أمطرت.

بَندورو: من السـحب يسـقط المـطر يا آلغـارّوبا ولـيس من السماء.

آلغارّوبا: يا لطيف! قـولوا لي إن جئنا هنا بغـاية لوم بعـضنا بعضاً؛ وأقسم إن آلغارّوبا لم يَعدم من يلومه في كل خطوة.

حامل الثانوية: لنعـدْ إلى جـادّة الصـواب، يا سـيـد بندورو، ويا آلغـارّوبا. فلن نقضي الوقت في حـماقـات لاجـدوى منهـا. أنجـتـمع هنا من أجل جـدال مـزعج؟ مـا أعـجب هذه الحـالة! ما إنْ يجـتـمع

بندورو وآلغـارّوبا حـتّى تثـور بينهـمـا زوابع
وعواصف جرّاء ألف هدف تتناقض مع بعضها .

إسترِنودو: السيد حامل الثانوية على صواب كبير . هلمّوا إلى
الموضـوع وارتؤوا من سنعيّن عـمـدة للعـام
القـادم . ولـيكـن خـيـارنـا على شـــكل
لاتستطيع (طليطلة)[1] نقـده، بل تثبتـه وترضى
عنه . ولهذا الغرض اجتماعنا .

بنّدورو: لهذا المنصب لدينا أربعة مرشحين : خوان برِكّال،
وفرنسيسكو ده هوميّوس، وميغيل خريّتهِ،
وبدرو رانا (الضـفـدع) . وهم من ذوي الحسب
والاحترام جميعاً، ويستطيعون أن يحكموا ليس
داغانثو فقط وإنّما روما ذاتها .

آلغارّوبا: بل الممالك الرومانية .

إسترِنودو: ألـديك ملاحظة أخرى؟ أقسـم بسـان بيتـو قد
أعتزلكم!

---

(١) يقصد الحكومة المركزية في طليطلة التي ظلت عاصمة إسبانيا حتى
١٥٦٠ م. (المترجم).

آلغارّوبا: واضح جداً! لأمرٍ ما سُمّيت إستِرْنودو الكاتب. لذلك يتصاعد منك دخان الغرور. اطمئن إلى أني لن أقول شيئًا.

بَنْدورو: أعساه يوجد في المغمورة كلها... ؟

آلغارّوبا: أيّ شيء المغمورة؟ ليقلِ الحصيف بندورو المعمورة، وبذلك يستقيم له اللفظ.

بَنْدورو: أقول إنه لا يمكن أن يوجد في الدنيا كلها أربع عبقريات تضاهي عبقريات مرشحينا.

آلغارّوبا: أنا أعلم، على الأقلّ، أن برّوكال أوفرهم حظّاً.

إستِرْنودو: ولأي شيء؟

آلغارّوبا: لأنه صقر في تذوّق الخمور واختبارها؛ فقد ذاق في الأيام الغابرة دنّاً في بيتي، وقال إن للخمر المرقّد رائحة الحطب والجلد والحديد. ولما نضب الدنّ وجدنا في قاعدته عُصيّة عُلّق بها سِيْر من السختيان، ومفتاحًا صغيراً.

إستِرْنودو: ما أغرب هذه المهارة! وما أندر هذا الذكاء! من يملك هذه المعرفة بمستطاعه حقّاً أن يحكم آلانيس وكاثايا وحتى إسكيبياس.

آلغارّوبا: وميغيل خريّتهِ نسر.

حامل الثانوية: بماذا؟

آلغارّوبا: بالرمي بقوس البندق.

حامل الثانوية: ماذا؟ أهو رامٍ ماهر؟

آلغارّوبا: لو لم يكن يستعمل يده اليسرى في معظم الرميات، لما أبقى على عصفور واحد في المنطقة.

حامل الثانوية: إنها مهارة نادرة وضرورية لشغل منصب العمدة.

آلغارّوبا: وماذا أقول عن فرنسيسكو هوميّوس؟ هو يصلح الحذاء كأنه خيّاط. ثم ماذا عن بدرو رانا الضفدع؟ لا توجد ذاكرة تضاهي ذاكرته، فهو يحفظ فيها كل المقطوعات التي كان يحفظها كلب ده آلبا القديم المشهور، من غير أن يُنقص منها حرفًا واحدًا.

بَندورو: سيحصل هذا على اختياري.

إستِرْنودو: وعلى اختياري أيضًا.

آلغارّوبا: خياري سيقع على بِرّوكال.

حامل الثانوية: أنا لن أختار أحداً منهم حتّى يقدّم مزيداً من البراهين على عبقريته يدلي بها إلى لجنة التحكيم.

آلغارّوبا: سأقترح عليكم علاجاً للمسألة وهو التالي: ادعوا المرشحين الأربعة للدخول، ويستطيع السيد بِسونيا بعلمه أن يمتحنهم. وهكذا نرى إن كان بالإمكان تسمية أحدهم لهذا المنصب استناداً إلى معرفته.

إسترْنودو: هذا والله رأي راجح.

بَندورو: وأنا أرى صاحبه يصلح مرجعاً لجلالته. فكما يوجد في البلاط رأس أطباء، فليكن فيه رأس عمد.

آلغارّوبا: قل: رئيس، يا سيد بندورو وليس (رأساً).

بَندورو: لا يوجد مدعوّ عام مثلك في الدنيا.

حامل الثانوية: بل مدّعٍ عام. مصيبتنا بك كبيرة!

إسترِنودو: والله إنك يا آلغارّوبا لمزعج.

آلغارّوبا: أقول: إذا كنّا نخضع الحلاّقين والحدّادين والخياطين إلى الفحص وكذلك الجراحين وأصحاب مهن من هذا القبيل، فيجب علينا أن

نفحص المرشّحين ليصبحوا عمداً . ومن نجد فيه الكفاية والمهارة لذلك المنصب، نزوده بوثيقة امتحان قد يفيد منها الممتحن في إصلاح شأنه . حتى إذا وُضعت في صندوق خشبي أبيض وطاف به المسكين على هذه البلدة أو تلك درّت عليه بوزنها ذهبًا، فنحن نفتقر اليوم إلى عمد من ذوي الفطنة لتعيينهم في البلدات الصغيرة .

حامل الثانوية: نِعمَ القول! ونِعْمَ حسن التفكير! ادعُ لي برّوكال، وليدخلْ ولنرَ إلى أي مدى يصل فهمه .

آلغارّوبا: لقد دخل المرشحون الأربعة : هوميوس ورانا، وبِرّوكال وخَرّيته .

(يظهر هؤلاء الفلاحون الأربعة).

ها هم ماثلون أمامك .

حامل الثانوية: أهلاً وسهلاً بكم جميعًا .

برّوكال: وبكم، يا سيد .

بَندورو: اجلسوا، فلدينا فائض من المقاعد .

هوميّوس: أجلسُ وأنا آسف.

خرّيتـه: سنجلس جميعًا بإذن الله.

رانـا: على أيّ شيء تأسف، يا هوميّوس؟

هوميّوس: أن يطول أمر تعيننا جداً. أيتعيّن علينا أن نشتري المنصب بالديكة الرومية أم بجرار الدبس، أم بإجّانات مُلئت خمراً ناضجًا وتقارب أن تكون دنانًا؟ ليُقلْ لنا ذلك ولْنضع له علاجًا وبسرعة.

حامل الثانوية: لا رشوة هنا، وكلنا على رأي واحد بأن من كان أجدر بمنصب العمدة فلسوف نختاره ونعيّنه لذلك.

رانـا: حسن! وأنا راضٍ بذلك.

برّوكال: وأنا.

حامل الثانوية: هذا فخر الكلام.

هوميّوس: وأنا أرضى به.

خرّيته: يعجبني الرأي.

حامل الثانوية: أنبدأ الامتحان، إذًا؟

هوميّوس: فلنبدأ!

حامل الثانوية: أتعرف القراءة، يا هوميّوس؟

هوميّوس: يقينًا، لا! ولن تجد في سلالتي شخصًا واحدًا فيه أدنى عيب حتّى ينكبّ على تعلّم هذه الأوهام التي تؤدي بالرجال إلى الجحيم وبالنساء إلى بيوت الدعارة. لا أعرف القراءة. لكني أعرف أشياء أخر تفوق القراءة أهمية ومنفعة.

حامل الثانوية: وما هي هذه الأشياء؟

هوميّوس: أعرف عن ظهر قلب كل الصلوات الأربع وأصليها كلّ أسبوع أربع مرات أو خمسًا.

رانـا: وبهذا تفكر في أن تكون عمدة؟

هوميّوس: بهذا وبكوني مسيحيًّا قحًّا تواتيني الجرأة حتى أكون عضوًا في مجلس شيوخ روماني.

حامل الثانوية: حسن جدًّا! فليقلْ خريّتهِ الآن ما يعلمه.

خريّتـه: أنا، يا سيد بِسونيا، أعرف قليلاً من القراءة. وأفكّ الحرف وأقول: ب + ا = با منذ ثلاثة أشهر. وبعد خمسة شهور أخر سأنجز تعليمي، وفوق ذلك، أعرف وضع السكّة في المحراث

بشجاعة، وأحذي في ثلاث ساعات تقريبًا أربعة
أزواج من العجول الهائجة الشَّبِقة.

وأنا سليم الأطراف وليس فيّ صمم، ولا أعاني
من الكاتاركت، ولا السعال ولا الروماتيزم.
وأنا مسيحي قحّ مثلكم، وأرمي بالقوس
بمهارة (توليو).

آلغارّوبا: هي مهارات غريبة ولازمة لمنصب العمدة.

حامل الثانوية: العضو التالي. ماذا يعلم برّوكال؟

برّوكال: مهارتي تتجلّى في لساني وفي حلقي؛ إذ لا يوجد
ذوّاقة خمر في الدنيا يبلغني. وقد طُبع على قبّة
حنكي ستة وستون مذاقًا كلها خمرية.

آلغارّوبا: أو تريد أن تصبح عمدة؟

برّوكال: وأطالب بذلك. لأني إذا ما تسلّحت بسلاح باخوس
استقامت حواسّي حتى يبدو لي تلك
اللحظة أني أشرّع القوانين للكورغو[1]،
وأساوي برْتلو[2].

---

(١) مشرع إسبرطي.

(٢) من كبار رجال القانون المشهورين في القرن ١٤ في إيطاليا.

بَندورو: على رسلك! نحن في مجلس بلدي!

برّوكال: أنا لست ناعماً ولا خشناً، وإنما أطالب فقط ألا يُبخس حقّي، أو أرمي الخمّار من النافذة.

حامل الثانوية: أتهدّدنا يا سيد؟ أقسم بحياتي، لا يفيدك التهديد إلا قليلاً يا سيد برّوكال. وماذا يعلم بدرو رانا الضفدع؟

رانا: كضفدع، لا مفرّ من أن يكون غنائي رديئاً. لكن، على الرغم من ذلك سأفصح عن شرطي وليس عن ذكائي. أنا، إذا صرت عمدة يا سادة، فلن تكون عصاي رقيقة كالعصيّ التي تستعمل عادة. بل سأصنعها من البلّوط أو السنديان؛ وستكون بسماكة إصبعين لئلا يثنيها ثقل لطيف يشكله جراب من الدوكادات، أو الأعطيات الأخر أو الرجاء أو التوسلات أو الامتيازات التي لها ثقل الرصاص، ولا يُحس بها حتى تخنق ضلوع الروح والجسم. إلى جانب ذلك سأكون كيّساً ومهذّباً، وحاسماً من غير قسوة؛ ولن أهين البائس الذي تجعله ذنوبه يمثل أمامي. ولربّ كلمة مهينة تنطلق من فم قاضٍ

فتبعث على الأسى أكثر مما يبعثه حكم وإن بدا قاسيًا. فلا يحسن بالسلطة أن تُفقد المرءَ حسن أدبه. ولا ينبغي لخنوع المذنب أن يجعل القاضي مغرورًا متعجرفًا.

آلغارّوبا: غنّى والله، ضفدعنا خيرًا من غناء تمّ محتضر.

بَندورو: لقد قال ألف حكمة شيشرونية.

آلغارّوبا: هي من حكم كاتون سنسورينو؛ لافُضّ فوك، يا سيدي الحاكم.

بَندورو: تعالَ أنّبني!

آلغارّوبا: سيأتي وقت التأنيب.

إستِرْنودو: لن يأتي أبدًا! ما أشدّ ميلك، يا سيّد آلغارّوبا، للوم والتأنيب!

آلغارّوبا: لا تتطاول عليّ يا منشئ!

إستِرْنودو: أأنا منشئ، يا فريسي؟

حامل الشانوية: أقسم بسان بدرو، لقد أفرطتما بتجاوز كل حدّ.

آلغارّوبا: أنا كنت أمزح.

إستِرْنودو: وأنا كنت أمزح.

حامل الثانوية: إذاً، دعوكما من المزاح!

آلغارّوبا: من يكذب يكذب.

إستِرْنودو: ومن يصدق، يصدق.

آلغارّوبا: حقّاً!

إستِرْنودو: احفظ لسانك!

هوميّوس: هذه العروض التي قدمها رانا جدّ بعيدة عن التصديق. وأقسم: ما إنْ يمسك بعصا الحكم حتى يتبدّل ويصبح مختلفاً عما يبدو عليه الآن.

حامل الثانوية: ما قاله هوميّوس جاء ضربة لازب.

هوميّوس: وأضيف أيضاً إني إذا أُعطيت عصا القيادة، فسوف ترون أني لن أتبدّل ولن أتحوّل ولن أتغيّر.

حامل الثانوية: إذاً، ها هي العصا! واحسب نفسك صرت عمدة.

آلغارّوبا: عجباً! أتعطونه العصا عسراء؟

هوميّوس: وكيف هي عسراء؟

آلغارّوبا: إذاً أليست عسراء؟ وإن أصم أو أخرس يستطيع أن يلمحها كذلك من فرسخ.

هوميّوس: وإذا أعطيت العصا عسراء، فكيف تريدون مني أن أحكم باستقامة؟

إسترِنودو: الشيطان تلبّس آلغارّوبا. متى رأيتم عصيًا عسرًا؟

يظهر أحدهم.

أحدهم: سادتي، هنا بعض الغجر ترافقهم صبايا عجيبات.
وإني وإن حدّثتهم عن المسألة التي تشغلكم،
فهم يلحّون عليّ بالدخول للترويح عنكم.

حامل الثانوية: فليدخلوا؛ وسوف نرى إن كانوا يصلحون للاحتفال بعيد الجسد الذي سأكون قهرمانًا فيه.

خرّيته: فليدخلوا على الرحب.

برّوكال: فليدخلوا، إذًا.

هوميّوس: أنا أرغب فيهم.

خرّيته: وكذلك أنا.

رانا: أليسوا غجرًا؟ إذًا، احترسوا من أن يسرقوا أنوفنا.

أحدهم: لقد جاؤوا من غير أن يدعوهم أحد. ها هم قد دخلوا.

(يظهر موسيقيو الغجر وغجريّتان أخذتا زينتهما وترقصان على إيقاع الرومانث الذي يغنّيه الموسيقيون).

موسيقي

أحني جسمي احترامًا

لكم يا حكام داغانثو

نعم الرجال إذا بادهوا

ونعم الرجال إذا تروّوا.

رجال ملئوا عقلاً

للقيام بالأعباء التي

تقتضيها الرغبة

في فضّ النزاع بين

المتخاصمين.

يبدو أن السماء جعلتكم كذلك.

أقول السماء ذات النجوم

أنتم مثل شمشون في الفنون،

ومثل برَنْلو في القوة.

خرّيتـه: كل هذا الغناء له رائحة التاريخ.

هوميّوس: غجر وغجريتان فريدون نادرون.

آلغارّوبا: وفيهم شيء من الأوساخ.

حامل الثانوية: ألا! كفاكم!

موسيقى وغناء

كما تغيّر الريح مسراها

كما تتبدّل الأغصان

التي تتجرّد شتاء

وتكتسي صيفاً

سنبدّل كذلك رقصنا

نقطة فنقطة وفي كل خطوة.

وتغيّر حال النساء

ليست حالة غريبة ولا جديدة.

عاش حكام داغانثو

الذين يبدون نخيلاً

وهم في الحقيقة بلوط.

(يرقصون)

خرّيتـه: هي مقطوعة حسنة، والله.

هوميّوس: وذات مغزى كبير.

برّوكال: ينبغي لنا طبعها لتبقى ذكرانا خلال قرون القرون. آمين.

حامل الثانوية: اسكتوا إن استطعتم.

موسيقى وغناء

فليعيشوا وليعيشوا

ولتأتِ عليهم خلال قرون سريعة

من الزمن الأيامُ وراء الليالي

من غير أن يتبدّل حالهم

وليظلوا كما كانوا في الثلاثين من أعمارهم،

من غير أن تؤثر في شبابهم.

ولتهبّ الرياح التي تغني

إذا جرت معاكسة،

على بحارهم نسائم هيّنة.

عاش حكّام داغانثو

الذين يبدون نخيلاً

بل هم بلوط .

حامل الثانوية: أســاءتني هــذه اللازمة من جهــة، لكنها، مع ذلك جميلة .

برّوكال: ألا فلنسكتْ.

موسيقى وغناء

سأطأ الغبرةَ

مرة بعد مرّة .

سأطأ الغبارَ

مرات ومرات .

بَندورو: هؤلاء الموسيقيون يصنعون حيص بيص بغنائهم .

هوميّوس: الغجر شياطين .

موسيقى وغناء

أنا سأطأ الأرض

مهما تكن صلبة،

كيما يفتح لي فيها

حبّي َقبراً .

لأن سعادتي

داسها الحب

مرة بعد مرة .

ساطأ بخفة

أقسى تراب .

إنْ دست فيه

الشرّ الذي أخشاه

فحبِّي طار في الهواء

وترك الغناء

مرة بعد مرة .

(يظهر سادن الكنيسة غاضبًا أشدّ الغضب) .

السادن: سادتي الحكام، أقسم بالله هذه تسلية حمقى . أهكذا يُحكم البلد بين الغيتار والرقص واللهو؟

حامل الثانوية: أمسك به، يا خروّته .

خرّيتـــه: قد أمسكت به .

حامل الثانوية: هاتوا لي لحافًا لنؤرجح فوقه هذا الغبيّ الأحمق الوقح السفيه والجريء مع ذلك.

السادن: اسمعوا يا سادة!

آلغارّوبا: سأعود باللحاف سريعًا.

(يذهب آلغارّوبا).

السادن: أحذركم إني قسيس.

حامل الثانوية: أأنت قسيس، يا وضيع؟

بَندورو: «الآن سنرى»، قال أغراخِس[1].

السادن: لا وجود لأغراخِس هنا.

بَندورو: بل ستكون غربان تنقر لسانك وحتى عينيك.

رانـا: قل لي يا تعيس: أي شيطان تلبّس لسانك؟ ما الذي دعاك إلى ذمّ العدالة؟ أأنت من سيحكم البلد؟ اهتمّ بأجراسك ووظيفتك الدينية ودعِ الحكام

---

(١) إحدى شخصيات قصص الفروسية وابن أخ الملكة إيليز أم الفارس آماديس ديغولا. كانت الجملة تضرب في العصر الكلاسيكي مثلاً لتكذيب ادعاء شخص أو استجابة لتحدٍّ، وهي شبيه ما يقال في أمثالنا: «الصدق ينبئ عنك لا الوعيد». المترجم.

وشأنهم. فهم يعلمون ما ينبغي لهم صنعه خيراً من الآخرين. فإذا كانوا أشراراً فصلٌ من أجل أن ينصلحوا. وإذا كانوا أخياراً فصلٌ من أجل أن يبقيهم الله.

يعود آلغارّوبا جالبًا اللحاف.

آلغارّوبا: لا ينبغي لي الإبطاء لجلب اللحاف.

حامل الشانوية: أمسكوا به جميعًا ولا أستثني الغجر والغجريات. ارفعوه يا أصدقاء.

السادن: الله! صار الأمر جداًّ، وإذا غضبت والله، سيكون جزاءكم وبيلاً على هذه السخرية.

رانا: كفى! لا تزيدوا! ولنقفْ بالعقاب عند هذا الحدّ، لأن المسكين تاب.

السادن: بالأحرى هُزُئ! من الآن فصاعداً سأخيط فمي برباط الحذاء.

رانا: هذا هو المهمّ.

حامل الشانوية: فليأتِ الغجر إلى بيتي. فلديّ شيء كثير أقوله لهم.

الفجر: نحن وراءك سائرون.

حامل الثانوية: ولنؤجل الانتخاب إلى غد. حينئذ سأعطي صوتي إلى رانا الضفدع.

الفجر: وماذا سنغنّي، يا سيدي.

حامل الثانوية: ما تشاؤون!

بَندورو: ليس لدينا من يغنّي غناء رانا.

خرّيته: هو لا يغنّي فقط، وإنما لغنائه سحر.

(ينصرفون مغنّين: «سأطأ الغبرة»).

إنـثرمِـس
الحارس اليقظ

الشخصيات

الجندي

لورِنْثو باسيّاس

أندرِس

مانويل

كريستينا

الحذّاء

السيد

غراخالِس

سيدة كريستينا

موسيقي

حارس يقظ

سادن الكنيسة

فتى يطلب صدقة

بائع أقمشة

خادم

معلّم كريستينا

سادن آخر صديق باسياس

الحارس اليقظ

(إنترمِس)

مقدّمة

يعجبنا هذا الإنترمِس بكمال بنائه القائم على التضادّ بين نموذجين: الجندي المتبجّح ويمثّل الماضي الإسباني المجيد، لكنه يطوي بين جوانحه إنسانية معذّبة يطلّ من خلالها أقطع ليبانتو العجوز[1]، وبين السادن الماكر والمتملّق الذي صوّر على شكل ساخر. حبّ كلا الشخصين الخادمة كريستينا التي آثرت السادن أخيراً يشكّل الحبكة البسيطة لهذه القطعة المسرحية الجميلة التي ما يزال مفعولها الكوميدي حيّاً كما تؤكّده العروض التي جرت لها في هذا القرن في مختلف الأوقات ومختلف المسارح.

---

(١) يقصد ثربانتس نفسه. انظر ترجمة المؤلف في آخر الكتاب.

فـتـحت غطاء من الفكاهة الكاريكاتورية يضطرب موضوع عميق من الصراع بين نموذجين اجتماعيين يجسّدان ثنائية السيف والقلم. فالجندي الفقير ذوالأسمال والشجاعة المزعومة يكشف عن فكاهة ثربانتس المرّة اللذيذة. صورته وهي أخت صورة الإلهٌ مارس في لوحة بلاثكث، تكشف لنا عن علائم جديرة بالملاحظة، ذلك حين يعرض على الخادم المَحبوبة: شجاعته، ومآثره ومنعته بلغة تجعلنا نفكّر أحياناً في لغة الدون كيخوته. الحوار رشيق وطريف للغاية، ولا يخلو من سخرية أدبية حين يقول الحذّاء الطارئ: «فهمي قاصر في أمور الشعر. لكن هذه الأشعار جد جميلة حتى بدت لي أنها من شعر لوبه، كما هي كل الأشياء الجميلة أو تبدو كذلك».

يمكننا أن نحدّد تاريخ المسرحية من صكّ الزواج الذي كتبه السادن لكريستينا: «... في ٦ أيار من عام ١٦١١ الحالي». أراد (شويل وبونيا) أن يقيما صلة بين مسرحية (الفلاح في ركنه) للوبه ده بيغا، (الفصل٢ المشهد٧)، وبين النقاش الذي دار بين مُحبَّي كريستينا. وأضافا: «ربما استلهم ثربانتس لوبّه الذي عُرضت مسرحيته المذكورة عام ١٦١١-١٦١٢». أنا أحسب التشابه بعيداً جداً. وإنما قد

يكون ذلك مجرد تطابق من غير الادّعاء بتأثّر أيّ من العملين بالآخر.

كل ما في مسرحية ثربانتس جوهري، ولم يهرم فيها تفصيل واحد. فتحت هذا الغطاء من المواقف وطرافة الحوار وحذقه ينساب حزن المرء الذي تكوّن في جيل من البطولة، ثم يرى كيف أن رجل الدين أو الأدب أخذا يحلاّن محلّ الجندي ورجل العمل. إنها خير مسرحية قصيرة كتبها ثربانتس إذا نظرنا إليها من جانب الفكاهة الاجتماعية. يمكننا، ولاريب، ربط الموضوع بخط تصاعدي زمنيّاً بالنزاع بين إيلينا وماريا، أو نقاش رجل الدين والنبيل في القرن ١٨ الإسباني.

الحارس اليقظ

(يظهر جندي عليه طابع الصعلكة متمنطقًا بحزام رديء جدًا، ومعه منظار، ويقف خلفه سادن كنيسة ماكر).

الجندي: ماذا تريد مني، يا ظلاً باطلاً.

السادن: لست ظلاً باطلاً، وإنما جسم كثيف.

الجندي: ومع ذلك، أطلب إليك بقوّة تعاستي أن تقول لي: من أنت وعمّا تبحث في هذا الشارع.

السادن: وعلى ذلك أجيبك بقوّة قولي إني لورِنْثو باسيّاس، خادم كنيسة المنطقة، وأبحث في هذا الشارع عمّا أجده وتبحث عنه أنت ولا تجده.

الجندي: لعلك تبحث عن كريستينا خادمة هذا البيت؟

السادن: أنت قلت!

الجندي: لكن، تعال إلي يا خادم الشيطان.

السادن: أنا قادم عليك، يا حصان ورق اللعب.

الجندي: ولد وحصان. لا يلزمنا غير ورقة الملك لنربح. تعالَ هنا، أقول لك مرة أخرى. أنا أراك جنديًا هاربًا وسلاحه. ألا تعلم أن كريستينا قرّة عيني؟

السادن: وأنت ألا تعلم يا ثوبًا باليًا أن هذه «القرّة» لي بكامل عقلها وكامل عقلي؟

الجندي: سأطعنك والله، ألف طعنة، ولأجعلنّ رأسك قطعًا قطعًا.

السادن: دعك مما في رأسي. وتسلّ بما يتدلّى من بناطيلك من هذا الثوب.

الجندي: أو كلّمت كريستينا ذات مرة؟

السادن: أكلمها متى شئت.

الجندي: أية أعطيات قدّمْتَها لها؟

السادن: كثيرة.

الجندي: كم هي؟ وما هي؟

السادن: أعطيتها بعض علب من مربّى السفرجل ذي القطع الكبيرة جداً، محشوة بقطع من خبز القربان

المقدس الأبيض كالثلج نفسه، وفوقها أربعة
أصابع من الشمع، بيض أيضًا كفرو القاقم.

الجندي: وماذا أعطيتها أيضًا؟

السادن: مئة ألف رغبة في خدمتها مصرورة في ورقة.

الجندي: وهي بماذا أجابتك؟

السادن: لوّحت لي بآمال بأنها ستكون زوجي وشيكًا.

الجندي: لكن، ألستَ مساعد شمّاس يقرأ رسائل الرسل في
أوّل القداس؟

السادن: ولا في الختام. أنا رجل دين غير مكلّف، وأستطيع
الزواج كيف ومتى شئت. ولسوف ترى
ذلك قريبًا.

الجندي: تعال هنا، يا متخلف، وأجبني عمّا أسألك عنه.
إذا كانت هذه الفتاة أجابتك بترفّع كبير،
ولاأحسبها فعلت ذلك نظرًا لبؤس عطاياك،
فكيف ستكون استجابتها لعظمة عطاياي؟
فقد أرسلت إليها رسالةغرام مكتوبة على
قفا مذكرة كنت رفعتها إلى جلالة الملك مبيّنًا له
فيها خدماتي وحاجاتي الحاضرة

(ولا يضير الجندي أن يقرّ بفقره). وقد أُقِرّت تلك المذكرة وأُرسلت إلى موزّع الصدقات الأكبر. فبادرت من غير اكتراث بأنها قد تجلب لي، ولاريب، أربعة ريالات أو ستة، إلى الكتابة على قفاها بأريحية لا تصدّق وانشراح كبير، كما قلت، رسالتي التي أوصلتها من يديّ الخاطئتين إلى يديها المقدّستين تقريباً.

السادن: أو أرسلت إليها شيئًا آخر؟

الجندي: تأوّهات ودموعًا ونحيباً ورعشةً وإغماء مع كل هذه السلسلة من المظاهر الضرورية التي يستعملها ويجب أن يستعملها العشّاق الحقيقيون في كل زمان ومكان للكشف عن حبهم.

السادن: أو أهديت إليها موسيقى ما؟

الجندي: موسيقى دموعي وشكواي وقلقي وهمومي.

السادن: أما أنا، فأهدي إليها موسيقى أجراس في كلّ آن، حتى ضاق بي الجيران بسبب الضوضاء المستمرة التي أحدثها. كلّ ذلك لإشاعة السرور في نفسها، ولأعلمها أني في برج الأجراس عارضًا عليها خدماتي. وإن كانت

الأجراس تُقرع إعلانًا عن موت أحدٍ أو احتفاء بعشيّة عيد جليل.

الجندي: في هذا تتفوّق عليّ. فليس لديّ شيء أعزف عليه، أو شيء آخر يعادله.

السادن: وبأية طريقة استجابت كريستينا لخدماتك التي لا تنقطع؟

الجندي: امتنعت عن رؤيتي، ورفضت أن تكلّمني، وصارت تلعنني إذا لقيتني في الشارع. وتسكب عليّ ماء الغسيل إن كانت تغسل، وماء الجلْي إن كانت تجلي الصحون. وهذا دأبها كل يوم، لأنني لا أبرح هذا الشارع ولا باب بيتها. وأنا أخيراً كلب البستان إلخ ... أنا لا أحظى بها، ولن يحظى بها أحد ما دمت حيّاً. إذًا، فليذهب من هنا السيد السادن، وإذا كنت لم أكسر عقبيه، فذلك احترامًا مني للنظام الديني الذي يمثله.

السادن: أما الكسر، فهما مكسوران مثلما هي ثيابك ممزقة.

الجندي: الثياب لا تجعل من المرء راهبًا. ويحق للجندي الذي حطمته الحرب، أن يفخر كما يفخر طالب

بمعطفه البالي. لأنه بذلك يبين عهده القديم بالدراسة. فانصرف، أو أصنع ما قلت لك.

السادن: ألأنك تراني أعزل؟ انتظرني، أيها الحارس اليقظ. ولسوف ترى البأس مني.

الجندي: وماذا بوسع باسيّاس أن يصنع؟

السادن: سوف ترى بعينك الآن. (**يذهب**).

الجندي: أوه! يا للنساء، ويا للنساء! كلكن أو معظمكن لا يثبتن على حال، وقلوبكن هواء. أتتخلّين يا كريستينا، عن زهرة الجندية وروضتها، وترضين بمزبلة سادن؟ نعم، وتتفنّنين بقبولك بسادن، بل بكاهن. لكني سأسعى إن استطعت، لإشعارك بالضُّر معكراً سرورك برصدي من هذا الشارع ومن باب بيتك من أتصورهم عشاقك بطريقة من الطرق. وبذلك، أحصل على لقب الحارس اليقظ.

(يظهر فتى يحمل علبة ويلبس ثياباً خضراً مثل أولئك الذين يطلبون صدقة باسم إيقونة ما).

فتى: أعطونا، بحق الله، صدقة من أجل مصباح زيت شفيعتنا سانتا لوثيا حفظت لكم عيونكم. يا ساكني البيت، ألا تعطوننا صدقة؟

الجندي: مرحبًا بك، يا صديق سانتا لوثيا! تعال إلي: أي شيء تريده في هذا البيت؟

فتى: لكن، ألا ترى يا سيدي؟ أطلب صدقة من أجل مصباح زيت سانتا لوثيا.

الجندي: أتطلب صدقة من أجل المصباح، أم زيتًا للمصباح؟ لأنك تقول صدقة لمصباح الزيت. يبدو أن المصباح للزيت، وليس الزيت للمصباح.

فتى: كل الناس تفهم أني أطلب زيتًا للمصباح وليس مصباحًا للزيت.

الجندي: أومن عادة أهل هذا البيت أن يمنحوك صدقة؟

فتى: يمنحونني، كل يوم مرابطيتين.

الجندي: ومن كان يخرج ليعطيكهما؟

فتى: من توفرتا في يده، وإن كانت تخرج معظم الأحيان خادمة جميلة كقطعة من ذهب تدعى كريستينا.

الجندي: إذًا، الخادمة جميلة كقطعة من ذهب؟

فتى: أو كالدرة.

الجندي: بشكل ما، لا تبدو لك الفتاة سيئة المنظر؟

فتى: لو كنت من حطب لما بدت لي سيئة المنظر.

الجندي: ما اسمك، يا فتى؟ لأني لا أريد لك أن تنادي مرة أخرى، باسم سانتا لوثيا.

فتى: اسمي آندرس، يا سيدي.

الجندي: إذًا، ضع في ذهنك، يا سيد آندرس، ما أريد قوله لك: هذا هو المبلغ الزهيد من المال. وعدّه صدقة عن أربعة أيام مما تقبضه من هذا البيت وتتلقاه عادة من يدي كريستينا. واذهب بحفظ الله، وأحذرك ألا تقرب هذا الباب خلال أربعة أيام لأي سبب، أو أحطم أضلاعك رفسًا.

فتى: لن أعود خلال شهر إن شئت. لا تغتم، يا سيدي. أنا ذاهب (**يذهب**).

الجندي: أما أنت، فلا تغفل، يا حارسًا يقظًا.

(يظهر فتى آخر يبيع شرائط وأقمشة كتانية وأشغال إبرة، وخيوطًا قطنية. وينادي..).

بائع: من يشتري شرائط؛ أشغال إبرة؛ قماشًا وخيوطًا قطنية؟

كريستينا: (من النافذة). أهلاً، مانويل! أمعك كلف للقمصان؟

بائع: نعم؛ معي منها، وهي جيّدة جداً.

كريستينا: إذًا، ادخل. لأن سيدتي بحاجة إليها.

الجندي: آه، يا نجم ضياعي وتيهي، بدلاً من أن تكوني قطب آمالي. يا بائع الشرائط كائنًا ما كان اسمك، أتعرف تلك الخادمة التي نادتك من النافذة؟

بائع: نعم، أعرفها. لكن، لما تسألني عنها، يا سيد؟

الجندي: أليس لها وجه جميل وطلعة بهية جداً؟

بائع: هكذا يُخيل إليّ.

الجندي: إنما يُخيل إليّ ألا تدخل هذا البيت. وإمّا لا، فسوف أطحن عظامك، والله، طحنًا حتى لا أترك فيك عظمًا واحدًا سليمًا.

بائع: إذًا، ألا أستطيع الدخول حيث دُعيت لشراء البضاعة؟

الجندي: اذهب ولا تجبني، وإلا صنعت بك ما قلت وفَوْرًا.

بائع: مأزق رهيب! أفسح لي الطريق، يا جندي، لأني ذاهب. (يذهب مانويل).

كريستينا: **(من النافذة).** ألا تدخل، يا مانويل؟

الجندي: لقد ذهب مانويل، يا سيدتي. ذهب صاحب كلف الأحياء، وكلف الأموات، يا سيدتي، لأن الأموات والأحياء تحت سلطتك.

كريستينا: يا ربّي! ما أثقل دم هذا الحيوان! ماذا تبتغي في هذا الشارع وعند هذا الباب؟(**تذهب**).

الجندي: احتجبت شمسي وغابت وراء السحب!

(يظهر حذّاء يحمل خفّين صغيرين جديدين في يده، ويتأهّب لدخول بيت كريستينا. يوقفه الجندي).

الجندي: أيها السيد الصالح: أتبحث عن شيء في هذا البيت؟

الحذّاء: نعم، أبحث.

الجندي: عمّا تبحث، إن كان بإمكاني أن أعرف.

الحذّاء: لِمَ لا؟ أبحث عن خادمة في هذا البيت لأعطيها هذين الخفّين اللذين أمرتني بصنعهما.

الجندي: إذًا، أنت حذّاؤها؟

الجندي: حذوتها مرات كثيرة.

الجندي: أو سوف تحذوها هذين الخفّين الآن؟

الحذّاء: لا حاجة بها إلى ذلك. لو كانا نعلين للرجال كما تطلب عادة، لحذوتها بهما.

الجندي: وهذان، أدفُع ثمنهما؟

الحذّاء: لم يُدفع. بل ينبغي لها أن تدفعه لي الآن.

الجندي: ألا تصنع لي معروفًا قد يكون ذا أهمية كبرى عندي. وهو أن تعهد إليّ بهذين الخفّين وأعطيك مالاً يعادل قيمتهما، لأني أنتظر أن يصلني خلال يومين مبلغٌ وافرٌ.

الحذّاء: يقينًا سأصنع المعروف. لكن، هاتِ المال أولاً، لأني عامل فقير ولا أستطيع الثقة بأحد.

الجندي: أنا سأعطيك مسواكًا ذا قيمة كبرى عندي، وما كنت لأتخلى عنه لقاء (إسكودو). أين محلك، يا سيد، حتى تبتعد عنه كل هذا البعد؟

الحذّاء: في شارع مايور. عند عمود من تلك الأعمدة. واسمي خوان خونكوس.

الجندي: إليك، إذًا، المسواك، وليحظ عندك بتقدير كبير لأنه مني.

الحـذّاء: لكن، أتريد يا سـيدي أن أقـدر تقديراً كبيراً عـوداً لا يساوي مرابطيتين تقريباً؟

الجندي: يا لك من آثم! أنا أعطيكه ذكـرى منّي. لأني كلّما مددت يدي إلى جيبي ولا أجد المسواك، يرد إلى ذاكـرتي أنه مـعك، فـأسـحب تلك اليـد سريعاً. نعم لعـمري لا أبادله بأي شيء آخـر. لكن، إذا لم تكن راضياً بذلك، فسوف أضيف له هذا النطاق وهذا المنظار. فـمن يخطب الحسناء لم يغله المهر.

الحذّاء: أنا وإن كنت حـذّاء، فلست عـديم الكياسـة حـتى أجـرّدك من جـواهرك ودررك. احـفظهـما عليك، يـا سـيدي، وأنـا سـأحتفظ بخفّي، وهـذا ما يلائمني جداً.

الجندي: كم قياسهما؟

الحذّاء: خمسة تقريباً.

الجندي: أنا أبأس امرئ، يا خـفّي حـشـاي، لأني لا أملك سـتة ريـالات ثمناً لكما، يا خـفّي حشـاي. اسـمع يـا حـذّاء: أريـد أن أرتـجـل الآن شـعراً انطلق موزوناً.

يا خفّي حشاي

الحذّاء: أو شاعر أنت؟

الجندي: ومشهور. وسوف ترى، فانتبه إليّ:

خفّا حشاي.

(مقطوعة)

حبّ مستبد كبير

نسيت عهد

الحفاظ عليه سراً

ألقى اليوم أرضًا

بآمالي بضربة من حذاء قدميه.

وتلك من مآثرك الحسان

يا حذاء صغيراً وحشيّاً،

تتصورك روحي،

لكونك حذاء كريستينا،

خفّي حشاي.

الحذّاء: فهمي قاصر في أمور الشعر. لكني استحسنت هذه الأبيات حتى تبدو لي أنها من شعر «الوبّه» شأن كل الأشياء الجميلة أو تبدو جميلة.

الجندي: إذا كنتُ، يا سيد، لم أجد وسيلة كيما تعهد إليّ
بهذين الخفّين، ولم تقبل بحوائجي الثمينة
رهنًا، فخذهما واحفظهما على الأقل
وسأوافيك بعد يومين طلبًا لهما. والآن أقول
لك مرة واحدة سيدي الحذاء: لا ينبغي لك أن
ترى كريستينا أو تكلّمها.

الحذّاء: سأصنع ما يأمرني به سيدي الجندي. إذ يبدو لي أنك
تعاني من شيئين: الحاجة والغيرة.

الجندي: هذه ليست لوذعية حذّاء، وإنما دارس يعرف
ثلاث لغات.

الحذّاء: ما أصعبك، أيتها الغيرة! ما أصعبك! أحرى بك أن
تُسمي ألمًا، ألمًا!

الجندي: أما أنت فلست حارسًا، وحارسًا يقظًا، وإلا لرأيت
كيف ينصب عليك ما يعكر صفوك وسرورك.
لكن، ما هذا الصوت؟ لا ريب أنه صوت
حبيبتي كريستينا التي تروح عن نفسها مدندنة
حين تكنس أو تجلي. (**تقعقع الصحون داخل
البيت أثناء الجلي، ويسمع غناء...**)

«يا سادن روحي

خذني إلى يديك، خذني

وثق بحبي

وغنِّ هلولويا»!

طرشت آذان تسمع هذا الغناء! لا شك أن السادن سلب روحها. آه، يا صحون الفضة! يا أنظف صحون ضمتها أو سوف تضمها لوائح الخادمات. فإذا كنت تنظفين الخزف حتى يعود كالفضة الناعمة المصقولة، فلما لا تنظفين روحي من الأفكار المنحطة السدنية؟

(يظهر سيد كريستينا)

السيد: أيها الشاب: ماذا تريد وعما تبحث في هذا الباب؟

الجندي: ما أريده أكبر من أن يُسمّى وأبحث عما لا أجده. لكن، من أنت حتى تسألني؟

السيد: أنا رب هذا البيت.

الجندي: معلم كريستينا؟

السيد: هو نفسه.

الجندي: إذاً، تعال إلى هذا الجانب، وخذ هذه الصرة من الأوراق، وانتبه إلى أن فيها معلومات عن خدماتي عليها اثنا عشر توقيعاً وقعها اثنان وعشرون جنرالاً خدمت تحت راياتهم عداك عن أربعة وثلاثين من ضباط الميدان الذين تكرموا فشرفوني بها.

السيد: حسب علمي، لم يوجد في سلاح المشاة الإسباني هذا العدد من الجنرالات والضباط منذ مئة عام حتى اليوم.

الجندي: أنت رجل سلم ولا جناح عليك ألا تفهم كثيراً من أمور الحرب. مر بعينيك على هذه الأوراق تجد فيها كل الجنرالات والضباط متكدسين فوق بعضهم البعض.

السيد: قد نظرت فيها ورأيتها. لكن، ماذا يجديك إن علمت ذلك كله؟

الجندي: ستجد فيها أن ما أقوله لك حقيقة. ذلك أنّي كنت مستشاراً في كل قلعة من القلاع الثلاث الشاغرة في مملكة نابولي. وهي: غاينا، وبرلّيتا، وبيخوبِس.

السيد: حتى الآن لا يعنيني شيء مما تسرده عليّ.

الجندي: لكنني أعلم أنك ستُعنى بها، بإذن الله.

السيد: وكيف؟

الجندي: سأكون حتمًا، إن لم تقع السماء على الأرض، رئيس أحد تلك الأماكن، وأريد أن أتزوّج كريستينا الآن. وإذا صرت زوجها فسوف تجني يا سيدي، من شخصي ومني كثيراً من المال كما تجني من ملكك الخاص. فلا ينبغي لي أن أبدي الجحود لجهدك في تنشئة حبيبتي وقرينتي العزيزة.

السيد: أنت جئت بأمر تجاوزت فيه كل حدّ.

الجندي: لكن، أتعلم كم يكلّفك الرفض، يا سيد؟ إمّا أن تسلمنيها فوراً، فوراً، أو لا أجعلك تعبر عتبة الباب.

السيد: أتوجد حماقة أكبر من هذه الحماقة؟ ومن له الحقّ في أن يمنعني من دخول بيتي؟!

(يعود السادن باسيّاس مسلّحًا بغطاء دَنّ وسيفٍ صدئ جدًا؛ يرافقه سادن آخر يضع على

رأسه خوذة ويحمل عصا أو مكنسة رُبِط بها ذيل ثعلب).

السادن: صديقي غَرَاخالِس: هذا هو معكّر صفوي وراحتي!

غراخالس: لا يهمّني أمره. غير أن سلاحي ضعيف وفيه شيء من اللين، وإلا لكنت أرسلته إلى العالم الآخر بكل سرعة.

السيد: اهدؤوا، يا سادة! ما هذا الوضع، وما هذه الضوضاء؟

الجندي: هما لصّان. أخيانة وتشكيل عصابة؟ اللعنة على سدنة الكنائس المزيّفين؛ أقسم بمن أقسم، لابدّ لي من أن أشنقكما ولو كنتما تحملان من الرتب أكثر مما يحمله رجل تشريفات. يا جبان! أتأتيني، أنا، بذيل ثعلب؟ أتريد أن تدلّل بذلك أني سكران؟ أم تحسب أنك تنفض الغبار عن تمثال؟

غراخالس: لاأحسب إلا أني أذبّ الذباب عن جرّة من الخمر.

(كريستينا وسيدتها من النافذة)

كريستينا: سيدتي، سيدتي: إنهم يضربون سيدي. أكثر من ألفي سيف مشهورة عليه، ولها بريق أعمى بصري!

السيدة: صدقت، يا بنيّة! كان الله في عونه، وكانت شفيعتنا أورسويا والعذراوات الإحدى عشرة ألف في حراسته! تعالي يا كريستينا، ولننزل لنجدته على خير ما نستطيع.

السيد: بحياتكم، الزموا الهدوء، يا سادة! فلا يحسُن بالمرء استعمال الغشّ مع أحد.

الجندي: اهدأ، يا ذيل! واهدأ، أنت يا صاحب الغطاء! إياكما أن توقظا غضبي! وإذا أثير غضبي فسوف أقتلكما وآكلكما وأرمي بكما من الباب المموّه حتى مسافة فرسخين إلى ما وراء الجحيم.

السيد: اهدؤوا أقول لكم! وإما لا، فإني أخشى والله، إذا ما استشطت غضبًا، أن ألحق الضرر بأحدٍ ما.

الجندي: أما أنا، فقد صرت هادئًا احترامًا مني للإيقونة التي يضمها بيتك.

السادن: لئن كانت هذه الإيقونة تصنع المعجزات، فلن تفيد منها شيئًا هذه المرة.

الجندي: أرايتم وقاحة هذا الأحمق الذي جاء يسخر مني بذيل ثعلب، وأنا لم أخشَ ولم تخفني طلقات معركة ديو التي جرت في البرتغال.

(تظهر كريستينا وسيدتها)

السيدة: أ أنت جريح يا حياتي؟

كريستينا: آه، ما أتعسني! المتخاصمان لعمر أبي، سادني وجنديّ.

الجندي: هي وإن ساوتني بالسادن، فقد قالت جنديّ.

السيد: لست جريحًا يا سيدة. لكن، اعلمي أن هذا الشجار كله بسبب كريستينا.

السيدة: ولِمَ هو بسبب كريستينا؟

السيد: حسبما علمت، هذان السيدان يتنافسان في حبّها والغيرة عليها.

السيدة: أو حقّ ما يقال، يا فتاة؟

كريستينا: نعم، يا سيدتي.

السيدة: ما أقلّ حياءك! أولوّث أحدهما شرفك؟

كريستينا: نعم، يا سيدتي.

السيدة: أيّهما؟

كريستينا: لوّث شرفي السادن لما ذهبت ذلك اليوم إلى الراسترو.

السيدة: كم مرة قلت لك يا سيد، ألا تخرج هذه الفتاة من البيت، لأنها صارت كبيرة، ولا ينبغي لها أن تكون خارج مراقبتنا لها؟ وماذا سيقول والدها الذي سلمنيها نظيفة سليمة؟ وإلى أين ذهب بك يا خائنة، حتى لوّث شرفك؟

كريستينا: لم يذهب بي إلى أيّة جهة، وإنما لقيني في عرض الشارع.

السيدة: وكيف في عرض الشارع؟

كريستينا: في عرض شارع طليطلة بمرأى من الله والناس كافّة، وناداني: يا قذرة، يا بذيئة، ويا قليلة الحياء عديمة التقدير. وكلمات أُخَر من هذا العيار. كل ذلك غيرةً من هذا الجندي.

السيدة: إذًا، لم يجرِ بينك وبينه غير هذه الإساءة إليك في عرض الشارع؟

كريستينا: يقينًا، لا. لأن الغضب زال عنه سريعًا.

السيدة: رُدت الروح إلى جسمي وقد كادت تفارقني.

كريستينا: وفوق ذلك، كل ما قاله لي مكتوب في هذا الصك الذي أعطانيه ضماناً لأن يكون زوجي. وإني أحفظه كما يحفظ الذهب في صرة.

السيد: أرنيه! ولننظر إلى ما فيه.

السيدة: اقرأه بصوت عال يا زوجي.

السيد: هذا نصه: «أنا لورنثو باسيّاس، سادن هذه المنطقة أقر بأني أحب كريستينا بارتس حبّاً جمّاً. واستناداً إلى هذه الحقيقة أعطيها هذا الصك موقعاً باسمي ومؤرخاً في مقبرة سان آندرس في مدريد في السادس من أيار من هذا العام ١٦١١. والشهود عليه قلبي وعقلي وإرادتي وذاكرتي». ما أجمل هذا النوع من صكوك الزواج!

السادن: تحت غطاء قولي: أحبها حبّاً جمّاً ينضوي كل ما تشاء أن أصنعه من أجلها. لأن من يهب الإرادة يهب كل شيء.

السيدة: إذاً، أتتزوجها حقّاً، إن رضيت هي؟

الســادن: وبرغبة كبرى، ولو خسرت ثلاثة آلاف مرابطية أتوقع أن تصبـهـا على رأسي إحـدى جـداتي حسبما كُتب إلي من بلدي.

الجنـدي: أمّا الإرادة، فإني وهبت كريستينا منذ تسعة وثلاثين يومًا عند دخولي جسر سيغوبيا، إرادتي وكل مـايتـعلق بهـا من قـواي الثـلاث. وإذا أرادت الزواج بي، فسوف تبدي لكم الأيام الفرق بين قيّم قلعة مشهورة، وبين سادن كنيسة غير تام الخلق، وإنما متوسطه. وهو، حتى في ذلك، ينقصه شيء.

الســـيد: ألديك رغبة في الزواج يا كريستينا؟

كريســتينا: نعم، يا سيدي.

الســـيد: إذًا، اختـاري مــن يعجبك من هــذين المتقدمين لخطبتك.

كريستينا: أشعر بالخجل.

السيدة: لا تشـعـري به. لأن الأكل والزواج ينبغي لهـما أن يكونا تبعًا للذوق الخاص وليس لإرادة أخرى.

كريستينا: أنا أنشئت على أيديكما يا سيدي. فاختارا لي زوجًا يوائمني، وإن كنت ما أزال راغبة في الاختيار.

الجندي: ألقي علي نظرة، يا فتاة. وانظري إلى جمالي. أنا جندي، وأفكر في أن أكون قيم قلعة. وأنا ذكي القلب وآنق شاب في الدنيا. ومن خيط ثوبي تستطيعين أن تسحبي كبة من النبل.

السادن: أنا يا كريستينا، موسيقي، وإن اقتصرت موسيقاي على قرع الأجراس. فلا يضاهيني سادن آخر في قرع الأجراس عند الإعلان عن وفاة أحد ما، أو عند تهيئة الكنيسة لأعياد جليلة. وأستطيع ممارسة هذه الأعمال متزوجًا وأكسب قوتي كالأمير.

السيد: والآن، اختاري يا فتاة من يعجبك منهما. وأنا سأرضى باختيارك، وبذلك يسود السلام بين المتنافسين القويين.

الجندي: أنا أصير أرضًا لك.

السادن: وأنا أستسلم لك.

كريستينا: إذًا، أختار السادن.

السيد: إذًا، نادوا غلمان جاري الحلاق لنحتفل بالعرس مغنين راقصين على ألحان الغيتار، وسيكون الجندي ضيفي.

الجندي: رضيت.

فإذا وجدت القوة

ضاع كل حق.

(دخل الموسيقيون)

الموسيقيون: ها نحن وصلنا في الوقت الملائم. وستكون هذه الجملة لازمة لأغنيتنا. **(يغنون اللازمة)**

إذا حضرت القوة

ضاع كل حق.

الجندي: تختار النساء دائمًا

أقل الناس شأنًا

لأن رداءة ذوقهن

تعوق كل تقدير،

فلا تُقدّر الشجاعة

حيث يعلو صوت المال.

إذًا، يفضلن سادنًا

على جندي فقير تابع .

لكن، ألا نعجب لمن يرى

خياره الأحمق

يميل إلى جهة الجانحين

بدلاً من أن يرسو في مكان قدسي .

إذا حضرت القوة

ضاع كل حق .

السادن: تلك عادات جندي

متقدم في السن فقط

ولا يجد في يده فلسًا .

وبتركه قطعته العسكرية

يتخيل أنه قادر على

طلب يد كل حرة كريمة

ويقتحم بالقوة

ما أحصل عليه باللين .

وحجتك لا تصمد أمام حجتي

ولقد خسرت اللعبة .

والجسور يفوز

بالفتكات دائماً .

إذا حضرت القوة . . إلخ .

(ينصرفون مغنّين راقصين)

إنترمس
البشكنسي المزيّف

الشخصيات

سولورثو	
كينيونس	البشكنسي المزيّف
كريستينا	السيدة المخدوعة
بريخيدا	صديقة كريستينا
الصائغ	
المحضر	
موسيقيان	

البشكنسي المزيّف
(إنترمِس)

مقدّمة

هذه القطعة واحدة من خير إنترمِسات ثربانتس؛ وهي أيضًا من أخراها، يثبت ذلك الأسلوب الرصين الممتع، والإشارة إلى الكيخوته على أنه كتاب منشور وشائع:

... التي تقرأ ست مرات

في الشهر، الدون كيخوته الكبير.

كما جاء في المقطوعة الغنائية في الخاتمة؛ والإشارةُ على وجه أكثر تحديداً إلى موضوع العربات والطرح على أنه شيء ناشئ حديث. كل ذلك يضع الإنترمِس في عام ١٦١١. فتُعرض السخريةُ من السيدة كريستينا التي فيها قدْر من حبّ الظهور والمنفعة، والاحتيالُ عليها اعتماداً على البشكنسي

المزيّف واستغلالاً للعرف الذي يعدّ البشكنس قليلي الكلام، طويلي الباع في السخاء والعمل، بخبث صعلكة، وبطرافة من الكلمات والمواقف المتتابعة. أمّا الغشّ في السلسلة الزائفة فينتمي إلى الفولكلور التقليدي، وهو موضوع ضرب من الحيلة المألوفة في كل الأزمنة.

رسم طباع الأشخاص في هذه القطعة رائع، كطبع بريخيدا صديقة كريستينا، التي تجسدها وتكشف عن عيوبها بنوع من المنافسة الحضرية لحظها المؤلّف بدقّة. في المسرحية إشارات شتّى إلى مواضيع مختلفة من ذلك العصر، بعضها جميل وبعضها ذميم. نجد بين المواضيع الأول، وإن يكنْ على شكل فكاهة، التأكيد النبيل الذي يتكلّم من خلاله الجندي ثربانتس العجوز: «لقد تحقّق أن سلاح المشاة الإسباني يتفوّق على كل مشاة الأمم». وتبرز فرادة ثربانتس الذي كان يعيش تلك الأيام في مدريد قبل رحيله إلى إشبيلية في بحبوحة، في جمل كهذه الجملة التي قالتها كريستينا لبريخيدا: «تزيّني زينتك، ونظّفي نفسك، والبسي طرحتك الحريرية، وانتعلي حذاءك خاصة ذا الشرائط الفضية، وأنا أضمن لك أنك لن تعدمي ذباباً يسقط على عسلٍ جد شهيّ كعسلك».

سولورثَنو الذي يحبك الخدعة اعتماداً على كينيونس (البشكنسي المزيّف) هو نموذج ممتاز للمتشرّد الذكي، وينتمي إلى نوعيّة الطالب الذي عرفناه في إنْترمِس (كهف سلمنقة). ويبيّن لنا الصلف المهني عند الصائغ الطارئ وتفاهة المحضر في الحلّ النهائي، ملاحظة الكاتب الدقيقة حتى في التفاصيل الصغرى.

هذا الإنْترمِس عمل متقن وكامل في نوعه وجدير بالكاتب الروائي الكبير والواقعي والساخر سواء بمفرداته وجمله الثرّة الشديدة التلوين وحِذقه ومقصده، أم بالمهارة التي حيكت بها الحبكة البسيطة.

البشكنسي المزيّف

(يظهر سولورْثَنو وكينيونِس).

سولورْثنو: هذي هي الأجربة. وهي على ما يبدو متشابهة
جداً. وها هي السلاسل التي ستوضع داخلها.
كل سلسلة في جراب. ولستُ بحاجة إلى شيء
سوى أن تضمّ يدك إلى يدي: فلا بدّ لنا من
خداع هذه المرأة الإشبيلية على خبثها.

كينيونِس: وما الشرف الذي نحصل عليه بإبداء كلّ هذه
المهارة بخداع امرأة، ونبذل كلّ هذا الجهد
ونسعى كلّ هذا السعي؟.

سولورْثنو: إذا كانت النساء مثل تلك فمن دواعي السرور أن
يُخدعن، شرط ألا تتجاوز الخديعة سقفًا معيّنًا.
أعني ألا يكون فيها تجديف على الله أو ضرر
للمخدوعة. فليست خدَعًا تلك التي تفيض
بانتقاص قدر الآخرين.

كينيونِس: كفى! فليكنْ ذلك إذا كنت ترغب فيه. أقول إني سأعينك على كلّ ما قلته، وأعرف الخديعة كما تعرفها أنت ولا أستطيع أن أزيد عليك. إلى أين ذاهب الآن؟

سولورْثو: إلى بيت هذه الحورية مباشرة. فلا تخرج أنت من البيت حتى أدعوك في الوقت الملائم.

كينيونِس: سأظلّ مسمرًا هنا بالانتظار. (**يذهبان كلاهما**).

(**تظهر دونيا كريستينا ودونيا بريخيدا. كريستينا لا تلبس معطفًا، أما بريخيدا فهي كذلك وتُبدي خوفًا واضطرابًا**).

كريستينا: يا إلهي! ما بك يا صديقتي دونيا بريخيدا حتى تبدين كمن يُسلم الروح إلى خالقها؟

بريخيدا: صديقتي دونيا كريستينا: روّحي عليّ، ورشّي قليلاً من الماء على وجهي! فأنا أموت وحانت نهايتي وستُنزع روحي مني، يا إلهي خذْ بيدي! آتيني بكاهن الاعتراف فوراً.

كريستينا: ما هذا؟ ما أتعسني! ألا تقولين لي يا صديقتي ما جرى لك؟ أرأيت رؤيا سيئة؟ أم أُخبرتِ

بخبر سـوء كموت أمّك، أو عودة زوجك أو سرقة حليّك؟

بريخيدا: لم أرزؤ يا ما؛ ولم تمت أمي؛ ولم يأتِ زوجي الذي ما زال بحاجة إلى ثلاثة أشهر لينجز تجارته حيث يسعى؛ ولم تُسرق حليّي. لكن، حصل لي ما هو أسوأ منها جميعًا.

كريستينا: كفى! قولي لي ما جرى لك يا صديقتي بريخيدا. فقد جعلتني مضطربة وفي حيرة حتى أعرف.

بريخيدا: آي، يا عزيزتي! وأنت أيضًا يصيبك جانب من هذا الحادث السيّئ. نظّفي وجهي الذي غرق وجسمي في عرق أبرد من الثلج. ما أتعس هاتيك اللاتي يسلكن حياة حرّة! حتى إذا رغبن في الحصول على قليل من النفوذ والإعجاب ينشنه من هنا وهناك، حُرِمْن منه ونُزِع منهن.

كريستينا: انتهي بحياتك، يا صديقتي وقولي ما جرى لك، وما هي المصيبة التي لي منها نصيب أيضًا؟

بريخيدا: وليته كان نصيبًا واحدًا فقط. بل لك منها كثير لو كنت حصيفة كما أنت في الواقع، ينبغي لك أن

تعلمي يا أختي، أني سمعت وأنا قادمة من باب (وادي الحجارة)لأراك، مناديًا ينادي وسط جمع غفير من الناس بإلغاء العربات، وبسفور النساء في الشارع.

كريستينا: أهذا هو خبر السوء؟

بريخيدا: أيمكن أن يوجد خبر آخر أسوأ منه؟

كريستينا: أحسب، يا أخت، أن الأمر ربما كان حركة إصلاح لوضع العربات، إذْ لا يمكن أن تُلغى إلغاء كاملاً. ولو كان الخبر صحيحًا لكان قرارًا موفقًا. لأن سلاح الفرسان الإسباني تدهور -كما علمت- تدهوراً خطيراً. إذ يندسّ عشرة شبان من الفرسان، أو اثنا عشر منهم في عربة واحدة ويجلدون الشوارع ليل نهار من غير أن يتذكّروا وجود جياد وفرسان في الدنيا. وبافتقارهم إلى ترف سفن اليابسة، وهي العربات، فسوف يعودون إلى ممارسة الفروسية التي كانت فخر أجدادهم.

بريخيدا: آه، يا كريستينا يا حبّة روحي! سمعتهم
يقولون أيضاً، إذا أُبقي على بعض العربات
فذلك على شرط ألا تُعار ولا تركبها امرأة.
وأنت تفهمينني.

كريستينا: فلْيصنعوا لنا هذا الشر. ينبغي لك أن تعلمي
يا أخت، أن أرباب الحرب تحققّوا عند
المفاضلة بين المشاة والفرسان، أن المشاة
الإسبانية تتفوّق على كل مشاة الأمم. والآن،
نستطيع نحن المرحات، أن نبدي بسيرنا على
الأقدام مرحنا وظَرْفنا وطرافتنا، حتى إذا أسفرنا
عن وجوهنا، نزعنا دعوى الخداع مِنْ يدِ مَن
يزعم أنه ضحيّتنا لأنه يكون قد رآنا.

بريخيدا: آي، يا كريستينا، لا تقولي لي هذا! ما أجمل ركوبَ
عربة والتمرّغ فيها من جانب إلى آخر مولية
وجهك من تشائين وكيف تشائين ومتى شئت.
وأقسم بالله وبروحي، إني إذا اكتريت عربة
ووجدت نفسي فيها بذلك السلطان الذي يزيدني
غروراً، أحسبني عن حقّ وصدق أميرة من

الأميرات. وأن أكثر من سيدة ذات لقب تصلح
أن تكون خادمًا لي.

كريستينا: أرأيت يا دونيا بريخيدا أني على صواب بقولي إن
إلغاء العربات كان إجراء حسنًا ولو لمجرّد نزع
الغرور من رؤوسنا؟ وفوق ذلك، لا يُستحسن
أن تؤجّر عربة إلى هذه أو تلك. فإذا تطلّعت
العيون الغريبة إلى امرأة متبرّجة في عربة
ومزدانة بالمجوهرات، فقد تفقد هذه المرأة
حسن الأدبِ وتحسب نفسها سيدة أميرة.
وهكذا لا ينبغي لك يا صديقتي، أن تشكي. بل
شدّي من عزمك، وتزيّني والبسي طرحتك
الحريرية وحذاءك الجديد ذا الشرائط الفضيّة،
ثم سيري في هذي الشوارع، وأنا أضمن لك
أنك لن تعدمي من يقع في شِباك هذه الحلاوة
من غير أن يدري كما يقع الذباب في العسل،
هذا إن سمحت له بالاقتراب منك.

بريخيدا: جزاك الله خيراً، يا صديقتي، لأنّك عزّيتني
بنصائحك وتحذيراتك وفي الحقيقة كنت أفكّر
في أن أضعها موضع التنفيذ، وأن أتزيّن وأزيد

في زينتي، وأواجه الخطر بثبات وأسير راقصة دون خشية من أن يقطع رأسي أحد، لأن ما يحسبه الناس زوجي ليس بزوجي وإن وعدني بأنه سيكون كذلك.

(يظهر سولورْثو).

كريستينا: يا إلهي! أهكذا تدخل بيتي خفية من غير أن تقرع الباب؟ يا إلهي ماذا تريد يا سيد؟

سولورْثو: اغفري لي يا سيدتي، جرأتي. حالة قد تجعل المرء يبدو كاللصّ. وجدت الباب مفتوحًا فدخلت متشجّعًا أني بدخولي سأقوم بخدمتك ليس بالكلمات وإنما بالأفعال. وسوف أبيّن لك دافعي ونيّتي التي جاءت بي إن كان بإمكاني الكلام بحضور هذه السيدة.

كريستينا: لا أتوقّع من حسن هيئتك غير طِيْب الكلام وطِيْب الأفعال. قلْ ما تشاء لأن السيدة بريخيدا صديقة صدوق حتّى تعدّ نسخة أخرى منّي.

سولورْثو: بهذا التأكيد وهذه الرخصة سأتكلّم بصدق. وأنا في الحقيقة، امرؤ مهذّب لا تعرفينه.

كريستينا: هذي هي الحقيقة.

سولورْثو: تراودني الرغبة منذ أيام كثيرة في أن أخدم سيادتك. يزغمني على ذلك جمالك وحسن هيئتك وفضل كلامك. لكنّي لم أعدم عوائق لجمت الأعمال حتى الآن. فقد شاء الحظ أن يُرسل إليّ من بسكايا أحد كبار أصدقائي ابنًا له، وهو بشكنسي غاية في الظرف كيما أقوده إلى سلمنقة، وأسلّمه إلى إحدى الجمعيّات لتعليمه والرقيّ به، لكنه إن شئت الحقيقة، حمار قليلاً، وفيه شيء من الحماقة، وعيبٌ يحزنني الإفصاح عنه، يتجلّى أشدّ ما يتجلّى إذا تناول شيئًا من الخمر. لكن، ليس على شكل يفقد فيه عقله فقدانًا تامًّا. وإنما هو يضطرب اضطرابًا. فإذا أطلّ من النافذة بكامل جسمه تقريبًا أثار العجب بمرحه وأريحيّته: فيعطي كلّ ما تحت يده من يطلب منه ومن لا يطلب. وقد أردت أن أجني بعض الفائدة من ذلك حرصًا مني على ألا يذهب الشيطان بكلّ ما يملك، فلم أجد وسيلة خيراً من جلبه إلى بيتك والإبقاء عليه محتبسًا كالقط. فهو صديق حميم للسيدات. وجلبت

لك، كبداية، هذه السلسلة المودعة في جيبي
وهي تساوي مئة وعشرين (إسكودو) ذهبيّاً،
فخذيها وأعطيني الآن عشرة إسكودات لأستعين
بها على قضاء بعض الحوائج الصغيرة وستنفقين
عشرين أخرى على عشاء هذه الليلة، الذي
سيحضره حمارنا أو الجاموس الذي سأقوده من
خيشومه كما يقال. وبشوطين اثنين تحتفظين
أنت بالسلسلة التي لا أريد من ثمنها سوى عشرة
إسكودات عاجلة. والسلسلة جيدة جداً ومن
ذهب خالص وفيها شيء من (الشغل). ها هي
دونك فخذيها يا سيدتي.

كريستينا: أقبّل يديك يا سيدي، لما صنعته لي بأن
تذكّرتني في مناسبة مفيدة كهذه المناسبة.
لكن، إذا كان ينبغي لي أن أقول ما أحسّ به،
فإن كرمك يجعلني مضطربة قليلاً، ويثير فيّ
شيئًا من الريبة.

سولورثو: وفيما ترتابين يا سيدتي؟

كريستينا: في أن تكون هذه السلسلة صناعية، ويقال عادة
ما كلّ بيضاء شحمة.

سولورْثنو: كلامك في منتهى الحكمة، يا سيدتي. وليس عبثًا ذيوع شهرتك على أنك أحكم سيدة في المدينة. ولقد سرّني جداً أن كشفت عن قلبك من غير لفّ ولا دوران. لكنّ لكل شيء ما خلا الموت، علاجًا. البسي معطفك، أو أرسلي من تثقين به وليذهب إلى الصائغ لمعايرة السلسلة وتقويمها فوراً. فإذا كانت صحيحة وفريدة في نوعها كما قلت، فلسوف تعطينني حينئذ الإسكودات العشرة، وسأشتري بها للحمار هديّة صغيرة وتحتفظين من ثمّ بالسلسلة.

كريستينا: على بعد ذراعين صائغ من معارفي سينزع الشك عنّي بسهولة.

سولورْثنو: هذا ما أريده وأحبّه وأقدّره. والله يبارك في الأشياء الخالية من كل شائبة.

كريستينا: إذا كانت لديك الشجاعة بأن تعهد إليّ بهذه السلسلة كيما أقتنع بصحتها، فلن ألبث غير قليل حتى أعود ومعي الإسكودات العشرة الذهبيّة.

سولورْثنو: ما أجمل ذلك! أأعهد إليك بكرامتي، فكيف لا أعهد إليك بالسلسلة؟ خذيها يا سيدتي

للمعايرة والتمحيص؛ وسوف أذهب وأعود بعد نصف ساعة.

كريستينا: قد لا تحتاج إلى نصف ساعة إذا كان جاري في البيت. (**يذهب سولورثو**).

بريخيدا: هذه، يا صديقتي كريستينا، ليست ثروة فقط، وإنما هي ثروة ضخمة أمطرت بها السماء.
ما أتعسني وما أشقاني! إذْ لا أعثر على أحد
يهبني جرّة ماء من غير أن يكلّفني البلاء أولاً!
لقيتُ ذلك اليوم شاعراً في الشارع، فمنحني
بطيب خاطر وبأدب جمّ سوناتا عن حياة
بريام وتيسبِه. وقدّم لي ثلاثمئة سوناتا أخر
في إطرائي.

كريستينا: كان خيراً لك لو التقيت أحد الجنويين وأعطاك ثلاثمئة ريال.

بريخيدا: نعم، هذا محقّق. وها هم الجنويّون يسيرون علنًا ولا يقعون في اليد كما تقع البواشق على الطعم. وهم مكتئبون ومحزونون جميعًا بسبب ذلك القرار.

كريستينا: انظري، يا بريخيدا: أريدك أن تتيقّني مما أقول لك: جنوي محطوم خير من أربعة شعراء سليمين. آي! لكنّ الريح جرت بما تشتهي السفينة. فها هوذا صائغي هنا. وماذا يريد جاري العزيز؟ أقسم، إنك حططت عن كتفي هذا المعطف الذي كنت أنوي التدثّر به وأسعى باحثة عنك.

(يظهر الصائغ).

الصائغ: سيدة دونيا كريستينا، اصنعي لي معروفًا بأن تبذلي كلّ جهدك لتأخذي زوجتي غداً إلى المسرح. إذ يهمّني ويلائمني أن أظلّ غداً مساء حراً من أحدٍ يتبعني أو يطاردني.

كريستينا: سأفعل ذلك بطيب خاطر. ولو أراد السيد جاري بيتي وكلّ ما فيه، فسوف يجده تحت تصرفّه حراً وشاغراً. وأنا أعلم جيّداً مغزى هذه الأمور.

الصائغ: ليس كذلك، يا سيدتي. يكفيني أن تسلّي امرأتي، لكن، ماذا كنت تبغين منّي؟ ماذا كنت تريدين بالذهاب باحثة عني؟

كريستينا: لا أريد شيئًا سوى أن تقول لي يا سيدي الجار: كم تساوي هذه السلسلة، وإن كانت صحيحة ومن أيّ عيارهي.

الصائغ: هذه السلسلة مرّت على يدي مرات عدّة. وأعلم أنها تساوي مئة وخمسين (إسكودو) ذهبيًّا. وهي من عيار اثنين وعشرين قيراطًا. فإذا اشتريتها يا سيدتي دون حساب كلفة الصياغة فلن تخسري فيها شيئًا.

كريستينا: لابدّ لي من أن أدفع في شغلها شيئًا لكنه غير كثير.

الصائغ: فلْتتنبّه جارتي إلى ثمنها. إذا أردت التخلّص منها سأعمل على أن تعطي عشرة دوكادات أجر صياغة.

كريستينا: سأعملها بكلفة أقلّ من ذلك، إن استطعت. لكن، فلْيتنبّه جاري إن كان أخطأ فيما قال حول صحة ذهبها وقيمتها.

الصائغ: ما أحلاني لو أخطأت في مهنتي! أقول يا سيدتي إني فحصتها مرتين حلقة حلقة وإني أعرفها كما أعرف يديّ هاتين.

كريستينا: وأنا بذلك أكتفي!

الصائغ: وزيادة في التأكيد، أعرف أحد المحترمين جاءني بها لمعايرتها وتقويمها. ويدعى فلان ابن سولورتْنو.

كريستينا: كفى، يا جاري! اذهب في حفظ الله وسأقوم بما طلبته مني. وسوف أصطحب زوجك وأرفّه عنها ساعتين إضافيتين إن وجدت لذلك ضرورة. فأنا أعلم أن ساعة أخرى من التسلية لا تضرّ.

الصائغ: جُعلتُ فداك لأنك على علم بكل شيء. وداعًا يا سيدتي. (**يذهب**).

بريخيدا: ألا نحاول مع سولورتْنو، وهو هكذا يدعى ولا ريب، أن يجلب مع البشكنسي من يعينني على الإنفاق ولو كان بورغونيًّا أشدّ سكرًا من زِق؟

كريستينا: لن يلبث حتى تقولي له. انظري إليه: ها هوذا راجع. فقد جاء مسرعًا وعلى عجل تحثّه إسكوداته العشرة وتنخسه.

(يظهر سولورْثنو).

سولورْثنو: أقمت، سيدة كريستينا، بمساعيك؟ أتحققّتِ من صحة السلسلة؟

كريستينا: بحياتك، ما اسمك يا سيد؟

سولورْثنو: يدعوني أهل بيتي عادة، دون استْبان ده سولورثْنو. لكن، لِمَ تسألينني عن ذلك، يا سيدتي؟

كريستينا: كي أختم على صدقك وأدبك الكبيرين. رفّه يا سيدي قليلاً عن السيدة بريخيدا ريثما آتيك بالإسكودات العشرة. (**تذهب**).

بريخيدا: أليس لديك يا سيد دون سولورثْنو، مسواك من أجلي، لأنني في الحقيقة لست ممّن يُعرض عنه. ولبيتي مداخل ومخارج كما لبيت السيدة دونيا كريستينا. أقول للسيد سولورثنو دون خشية من أن يسمعني أحد، إن هذه المرأة فيها كثير من العيوب. ولْيَعْلَم أن ثدييها يشبهان خرجين فارغين، ونفسها ليس ذكي الرائحة لأنها تتزيّن كثيراً. وهي على الرغم من ذلك، مقصودة ومرجوّة ومرغوب فيها. وإني على وشك أن أخمش وجهي غضباً أكثر مما هو

حسـداً لأني لا أجد أحـداً يعينني عـوضاً عن أن يثقل عليّ. وأخيراً، ما أحسن حظّ القبيحات!

سولورْثنو: لا تيأسي يا سيدتي: إذا ظللت حيّاً فسوف يغنّي ديك آخر في خمّك.

(تعود كريستينا).

كريستينا: ها هي سيد إستبان الإسكودات العشرة. وسيُعدّ العشاء هذه الليلة كأنه عشاء أمراء.

سولورْثنو: لكن حمارنا على ناصية الشارع وأريد أن أذهب في طلبه. أرجوك أن تدلّليه، وإن يكن على كُره منك. **(يذهب)**.

بريخيدا: قلت له يا صـديقـتي، أن يأتيني بمن يرفّه عني ويسلّيني. فأجاب إنه سيفعل ذلك في وقت ما.

كريستينا: إذا طال الوقت علينا، فلن نجد من يرفّه عنا. صغر السن يجلب الربح الكبـيـر، وتقـدّم العـمـر الخسران المبين.

بريخيدا: وحدّثته أيضاً عن نضارتك وجمالك الفذّ ولطفك الكبير. وأنك كلّك عنبر ومسك وغالية؛ وأنك نُشِّئت في النعمة.

كريستينا: أنا أعلم يا صديقتي، أنك تصونينني في غيبتي.

بريخيدا: (إلى جانب). انظروا إلى من لها عشاق ومغرمون، على أنّ نعل حذائي خير من صفحة عنقها. مرة أخرى أقول: ما أحسن حظ القبيحات!

يظهر كينيونِس وسولورْثنو.

كينيونس: بشكنسي يقبّل سيادتك يدين. أمركم.

سولورْثنو: يقول السيد البشكنسي إنه يقبّل يدي سيادتك. وهو تحت أمرك.

بـريـخيـدا: آي، مـا أجـمـل هـذه اللغــة! أنـا، على الأقلّ، لا أفهمها، لكنها تبدو لي جميلة جداً.

كريستينا: أقبّل يدي السيد البشكنسي. فليتفضّلْ.

كينيونس: حـسناء تبـدين جـمـيلة. أيضًا ليلة هذه نتـعـشى. سلسلة تظلين راقدة، أبدًا يكفي أني أعطيتها.

سولورْثنو: يقول رفيقي إن سيادتك تبدين له حسناء جميلة. فليُعـدّ العشـاء وهو يهـبك السلسلة ولو لم ينم هنا. يكفي أنه أعطاكيها مرة واحدة.

بريخيدا: أيوجد عظيم في الدنيا مثله؟ سعد كبير! سعد كبير! ومئة مرة سعد كبير!

سولورْثنو: ليتك تأتيننا بشيء من المعلّبات وجرعة من الخمر للبشكنسي فأنا أعلم أن المردود سيكون واحداً مقابل مئة.

كريستينا: ولِمَ لا أسعى في طلبها! وسأقدّم له خيراً ممّا يُقدّم للكاهن خوان ديلاس إندياس. (**تذهب كريستينا**).

كينيونس: سيدة جميلة تظلّين مثل سيدة ترحلين.

بريخيدا: ماذا قال، يا سيد سولورْثنو؟

سولورْثنو: إن السيدة التي ظلت هنا، وهي حضرتك، جدّ جميلة مثل السيدة التي ذهبت.

بريخيدا: لشد مّا وُفّق السيد البشكنسي في كلامه! أقسم إنه ليس حماراً في شيء كما يبدو.

كينيونس: حمار الشيطان. نبوغ بشكنس إذا أرادوا يكون.

بريخيدا: لقد فهمت كلامه؛ يقول إن الشيطان هو الحمار وإن البشكنس إن أرادوا النبوغ نبغوا.

سولورثنو: وهو كذلك من غير أن ينقص منه حرف واحد.

(تظهر كريستينا مرة أخرى بصحبة خادم أو خادمة، يحمل علبة مربّيات وإجّانة من الخمر وسكّينًا ومنشفة).

كريستينا: بإمكان السيد البشكنسي أن يأكل من غير تقزّز، لأن كلّ ما في البيت هو خلاصة النظافة ذاتها.

كينيونس: حلو عندي خمر وماء تسمّينه جيدًا، قدّيس يدل عليه. أشرب هذا وذاك أيضًا.

بريخيدا: يا إلهي! ما أحلى هذا القول يا سيدي، وإن لم أفهمه!

سولورْثنو: يقول إنه يشرب مع الحلو خمرًا أيضًا كما يشرب ماء، وإن هذا الخمر من ماركة (القديس مارتن)، وإنه سيشربه مرة أخرى.

كريستينا: بل مئة مرة أخرى. فمه ينطق بالحكمة.

سولورْثنو: لا تسقياه مزيدًا من الخمر، فقد يضرّ به، بل أخذ ضرره يتجلّى. قلت للسيد آتكراي ألا يشرب خمرًا على أي حال. ولم يقبل النصح.

كينيونس: دعْك من ذلك. خمر يصعد، خمر يهبط.
لسان قيد وصفد أقدام مساء أعود، سيدتي.
في حفظ الله.

سولورْثنو: تأمّلا ما يقول تريا أني على صواب.

كريستينا: وماذا يقول يا سيد سولورْثنو؟

سولورْثنو: يقول إن الخمر يربط لسانه ويقيّد قدميه. وإنه
سيأتي هذا المساء ويترككما في حفظ الله.

بريخيدا: يا ويلي! ما أشدّ اضطراب عينيه وانعقاد لسانه!
يا إلهي! ستزلّ قدمه، فقد شرب كثيراً. إنه
أحزن شيء رأيته في حياتي. ما أصغر سنّه
وما أشدّ سكره!

سولورْثنو: جاء من بيته سكران. سيدة كريستينا، مري بتجهيز
العشاء. فأنا أرغب في أن يجعله ينام. وسنكون
معًا هذا المساء باكراً.

(يذهب البشكنسي وسولورْثنو).

كريستينا: كل شيء سيكون تمام التمام، اذهبا في حفظ الله.

بريخيدا: صديقتي كريستينا: أريني هذهْ السلسلة ودعيني
أشحذ بها حدّي الرغبة، آه، ما أجملها!

وما أجدّها! وما أشدّ لمعانها! وما أرخص ثمنها! أقول يا كريستينا، إن الخيرات تهطل عليك مطراً من غير أن أعرف كيف ولما. وإن الحظ يدخل أبوابك من غير أن تسعي وراءه. فأنت ذات حظّ فوق حظّ المحظوظين، لكن ظرفك ونظافتك وحسن كلامك جدير به. وهي كلها سحر يكفي ليثني أشدّ الرغبات عزوفاً وأقلها اكتراثاً. ولست مثلي أنا التي لا تصلح إلا لإطعام قطّ، خذي سلسلتك يا أختي، فإني على وشك أن أنفجر بالدموع لا حسداً لك، وإنما حزناً على نفسي.

يظهر سولورْثنو على المسرح مرة أخرى.

سولورْثنو: نزلت بنا أعظم كارثة في الدنيا!

بريخيدا: يا ربّي! أو كارثة؟ وما هي يا سيد سولورْثنو؟

سولورْثنو: التقينا عند ناصية هذا الشارع ونحن ذاهبان إلى البيت، أحدَ خدم والد صاحبنا البشكنسي حاملاً رسائل وأنباء بأن أباه على شفا الموت ويأمره أن يرحل فوراً، فهو يريد أن يراه حيّاً. جلب معه مالاً للسفر الذي سيكون وشيكاً

ولا ريب، وأخـذت منه عـشـرة إسكودات من أجلك فخذيها هي والإسكودات التي أعطيتنيها مَن قـبل، وأعـيـدي إليّ السلسلة. فـإذا كُتِـبت الحياة للأب فسوف يعود الابن ويعطيكها. وإمّا لا، فلن أكون دون إستبان ده سولورْثنو.

كريسـتينا: في الحقيقة، يثقل عليّ كثيراً، ليس بسبب تضررّ مـصلحـتي، وإنمـا بسـبب الكـارثة التي حلّت بالشاب الذي حزنت عليه.

بـريخيـدا: لابأس بعشرة إسكودات كسبتـهـا وأنت تلعبين. خـذيهـا يا صـديقـتي وأعـيـدي السـلسـلة إلى السيد سولورْثنو.

كريسـتينا: هاهي: خـذها وهـاتِ النقـود، في الواقـع، كنت أفكّـر في إنفـاق مـا يزيـد على ثلاثين إسكودو على العشاء.

سـولورْثنو: سـيدة كـريسـتينا: العـوان لا تعلـم الخـمـرة! وأنا لا يقُـعـقع لي بالشنان! وألقي بـهـذا العظـم إلى كلب آخر!

كريستينا: ولأي شيء هذه الأمثال كلها، يا سيد سولورْثنو؟

سولورثو: كي تعلمي أن الطمع يشقّ الجيب. أبهذه السرعة ترتابين فيّ. أم تريدين أن تلقي الذئب في الطريق، وتخرجي سالمة مثل إوزّة كنتيمبالوس؟ سيدة كريستينا، سيدة كريستينا: المال الحلال يذهب والمال الحرام يذهب وأهله. هاتي سلسلتي الحقيقية، وخذي سلسلتك الزائفة، ولا تلعبي معي لعبة تحولات أوبيديو في زمن جد قصير. آه، منك يا فاجرة! لقد صنعوا حسنًا بتقويمك وإصلاحك.

كريستينا: ماذا تقول يا سيد؟ أنا لا أفهمك.

سولورثو: أقول: هذه ليست سلسلتي التي أودعتكيها وإن كانت تشبهها. هذه صناعية، أما الأخرى فهي من ذهب عيار ٢٢ قيراطًا.

بريخيدا: أقسم بحياتي، هذا عين ما قاله الجار الصائغ.

كريستينا: حتى الشيطان أيكون مثلك؟

سولورثو: الشيطان أو الشيطانة: آتني بسلسلتي ودعيني من الصراخ، وأعفي نفسك من الحلف واللعن.

كريستينا: ليأخذني الشيطان، وليته أخذني قبل اليوم، إن لم تكن هذه سلسلتك التي أعطيتنيها. ولا أملك سلسلة أخرى غيرها. يا عدالة الربّ إذا لم تُقبل شهادتي هذه!

سولورْثو: لا حاجة بك إلى الصياح مادام السيد الحاكم هنا. وهو يحفظ لكلِّ ذي حقّ حقه.

كريستينا: إذا وصلت القضية إلى الحاكم، حُكم عليّ بالهلاك. فقد كوّن عنّي فكرة جدّ سيّئة حتى ينقلب صدقي عنده كذبًا وفضيلتي رذيلة. إن كان في بيتي سلسلة أخرى غيرها، فلأكنْ طعامًا للسرطان.

(يظهر محضر المحكمة).

المحضر: ما هذه الأصوات؟ وما هذا الصياح، وهذي الدموع وهذا اللعن؟

سولورْثو: جئت سيدي المحضر في وقتك. لقد رهنت لدى هذه السيدة السيّئة السلوك سلسلة منذ ساعة لقاء عشرة دوكادات لأمر ما. وعدت الآن لفكّ الرهن، فأعادت إليّ سلسلة صناعية لا تساوي دوكادين اثنين بدلاً من السلسلة الذهبية التي

تساوي مئة وخمسين دوكادو، وتريد أن تضيّع
حقّي في متاهة العياط والمياط، ويشهد على
ذلك هذه السيدة التي جرى أمامها كل شيء.

بريخيدا: نعم، لقد جرى وجرى! وأقسم بالله وبحياتي إن هذا
السيد على حقّ. لكني لا أعلم كيف جرت
الخديعة، لأن السلسلة لم تبرح هذه القاعة قطّ.

سولورْثنو: سيدي المحضر: اصنع لي معروفًا بسوق هذه
السيدة إلى الحاكم. وهناك ستتحقّق من الأمر.

كريستينا: مرة أخرى أقول: إذا مثلت أمام الحاكم، فسوف
يحكم عليّ.

بريخيدا: نعم، لأني لا أقف إلى جانبك.

كريستينا: هذه المرّة سوف أشنق! هذه المرّة أنا يائسة! هذه
المرّة ستمصّ دمي الساحرات!

سولورْثنو: لابأس عليك! أريد أن أصنع لك شيئًا يا سيدة
كريستينا كيلا تمصّ دمك الساحرات، أو على
الأقل كيلا تشنقي نفسك. هذه السلسلة تشبه
سلسلة البشكنسي شبهًا كبيراً. وهو امرؤ فيه
لوثة وشيء من الاضطراب. وسوف آخذها له
وأوهمه أنها سلسلته ذاتها. أمّا أنت فروّحي عن

السيد المحضر، وجهّزي عشاء هذه الليلة وهدّئي من روعك لأن الخسارة ليست كبيرة.

كريستينا: جزتك السماء خيراً! سأعطي السيد المحضر نصف دستة من الإسكودات، وسأنفق دستة كاملة منها على العشاء، وسأظل خادمة دائمة للسيد سولورْثنو.

بريخيدا: وأنا سأشق الأرض رقصاً في الحفلة.

المحضر: وأنت تصرّفت تصرف رجل حرّ وسيّد كريم عمله خدمة السيدات.

سولورْثنو: هاتي الإسكودات العشرة التي أعطيتكيها زيادة.

كريستينا: إليكها! وفوقها ستة للسيد المحضر.

(يظهر موسيقيان والسيد البشكنسي).

الموسيقيان: لقد سمعنا كل شيء، وها نحن جاهزون.

كينيونس: نعم؛ ونستطيع أن نقول الآن للسيدة كريستينا: لقد خُدعت بمرارة مرة ومرات.

بريخيدا: أرأيتم إلى البشكنسي كيف يتكلّم بوضوح؟

كينيونس: أنا لا أتكلّم بغموض إن لم أكن راغباً فيه.

كريستينا: قُتلت إن لم يجعلني هذان السافلان أبتلع الطعم.

كينيونس: سيدي الموسيقيّين: أنتما تعرفان الأغنية التي زودتكما بها: لأي شيء صنعت؟

الموسيقيان: أحكم النساء

تعرف قليلاً أو لا تعرف شيئاً.

المرأة التي تزعم

أنها تقطع كالموس

الكلمات المزدوجة المعنى

أثناء النقاش الحامي

وتحفظ غيباً

كتاب لوفراسو وديانا

والفارس ديل فيبو

وأوليبانته ده لاورا

وست مرات في الشهر

قرأت دون كيخوته العظيم

وإنْ علمت أكثر من ذلك أيضاً،

تعلم قليلاً أو لا تعلم شيئًا .

المرأة التي تثق بعبقريّتها

الملأى بمشاريع مزعومة

قائمة على المصالح وعلى

الأهواء المستبدّة ،

والتي لا تعرف أن تقي نفسها

من الماء الراكد

وتُلقي بنفسها في التيّارات

التي تجري سريعًا ،

وتزعم أنها وحدها .

صفوة الصفوة

في هذه التجارة المرحة

تعلم قليلاً أو لا تعلم شيئًا

كريستينا : الآن ، نعم : أقرّ بأني خُدعت . ومع ذلك ، أدعوكم جميعًا للعشاء هذه الليلة .

كينيونس : قبلنا الدعوة ، وكل شيء سيُعرف على حقيقته .

إنـتـرمِـــس
مسلسل صور العجائب

الشخصيات

تشانفايا	مخرج
تشيرينوس	مخرجة
رابلين	موسيقي
الحاكم	
بينيتو ريبويّو	عمدة
خوان كسترادو	نائب العمدة
بدرو كاباتشو	كاتب
خوانا كسترادا	بنت خوان كسترادو
تيريساريبويا	بنت خال خوانا
ابن أخ بينيتو	راقص
الضابط	

مسلسل صور العجائب

(إنترمِس)

مقدّمة

هذا العمل الفني المتقن والمشهور مصدره قصة «بزّة الملك التي لا تُرى» الواردة في المثل ٢٢ من كتاب «الكونت لوكانور» لخوان مانويل في القرن الرابع عشر؛ وهو كلوحةٍ تعكس بنية القرية، يتفوّق على طرافة إنترمس انتخاب عمدة داغانثو ومذاقه الشعبي. ويبلغ ثربانتس ذروة النقد والفكاهة في المنحى والسخرية التي يتخذها الموضوع الذي لا يرى الدمى فيه ولا العرض «من يوجد في نسبه لطخة عار، وإذا لم يكن من صلب أبويه شرعًا». وهنا تزدهر أيضًا روح الصعلكة المجسّدة في تشانفايّا وتشرِينوس مدبّري مسلسل العجائب حيث السخرية تتحقق على حساب كل المصالح النفعية

والأعـراف والـرياء ومفهـوم الشــرف وسـرعة التصـديق في ذلك العصر.

أراد كلين أن يرى في هذه القطعة مقاصد إيديولوجية هدّامة. معنى ذلك، انتزاع العمل والمؤلف من عصره ومن مغزاه الجوهري. لكن، حسبه النقـد الاجتماعي ورشـاقة العرض والحوار، والصور الكاريكاتورية لأعضاء المجلس البلدي في القرية، وتدخّل الجنود المفاجئ في القطع الطريف الذي جاء في نهاية الإنترمس ووضع خاتمة له؛ لكنها ليست خاتمة للخديعة ولا السـذاجة ولا العـرف الذي يرزح تحته جيران القرية: «لقد بلغ المسلسل غايته، وغداً نستطيع عرضه على عامّة الشعب...» ولا معدى لنا من ربط الموضوع بحادثة لوحة المـايسـترو بدرو في الكيخوته حيث تُطرح مشكلة الوهم والحقيقة بعمق أكبر. لكنّ هذا الإنترمس أعجوبة حقيقية في مجاله.

يخطر على البال أن جملة تشانفايا لما قال إن البلاط «يخلو من المسرحيات وتفتقر إليها المشافي»، تشير إلى المرحلة بين ١٥٩٨ و١٦٠٠ لما أُغلقت المسارح وطلبت المشافي حسب قول كابريرا القرطبي في روابطه: «أن تُمثّل فيها مسرحيات نظراً للحاجة الملحّة التي يعاني منها

البؤساء». وفي قول الحاكم إنه ألّف مقطوعات «تتناول طوفان إشبيلية»، إشارة، فيما يبدو، إلى فيضان عام ١٥٩٧. هذه القرائن تثبت على كل حال، أن الإنترمِس ليس سابقًا على هذه التواريخ، وأنا لا أضع فاصلاً زمنيًّا كبيراً بينه وبين إنترمِسَ الحارس اليقظ وكهف سلمنقة، سواء من جهة نضج الأسلوب والمفهوم والإخراج.

قلّد كينيونِس ده بينابِنْته هذا الإنترمس بآخر يحمل العنوان والموضوع ذاتهما، لكنه ظلّ متخلّفًا للغاية عن إبداع قطعة ثربانتس الثرّ، وعن طرافتها ورسم طباع الشخصيّات والنقد الاجتماعي والفكاهة فيها[1].

---

(١) يضاف إلى ما سبق، أن شخوص المسرحية كلها هامة ورئيسة مهما يكن حظها من الظهور، لأنها جميعًا إمّا أن تساهم في تعزيز «الإيهام» وتعميقه، أو تساعد على الحل. (المترجم).

مسلسل صور العجائب

(يظهر تشانفايا وتشيرينوس).

تشانفايا: لا يغيبنّ عن ذهنك، يا تشيرينوس، التحذيرات الهامّة التي أسديتها إليك بصدد هذه الأكذوبة الجديدة التي ينبغي لنا إخراجها كما أخرجناها الشتاء الماضي.

تشيرينوس: تشانفايا العظيم: من جهتي عُدّ الأمر كأنما صُبّ في قالب. وإني أجمع ذاكرة وفهمًا إضافة إلى إرادة في أن أوفّق إلى إرضائك تتجاوز القوّتين الأخريين. لكن، قل لي: ماذا يفيدنا رابلين الذي استخدمناه. ألا نستطيع النهوض بهذا المشروع وحدنا؟

تشانفايا: نحن بحاجة إليه حاجة الفم إلى الخبز ليعزف في الأوقات التي تبطئ فيها صور العجائب في الظهور.

تشيرينوس: أعجوبة ألا نُرجم بالحجارة بسبب رابلين وحده. لأني لم أرَ في حياتي مخلوقًا بتعاسته.

(يظهر رابلين).

رابلين: أينبغي لنا صنع شيء في هذه القرية، سيدي المخرج؟ لأنني منهك. وأنت لم تحملني معك متاعًا مركومًا.

تشيرينوس: ثلاثة أجسام مثل جسمك لا تشكل سقط متاع. فكيف بمتاع كامل. لو لم تكن أكبر موسيقيّ، لكنّا شقينا بك.

رابلين: كل شيء سيُعلم. في الحقيقة، كُتب إليّ أن أكون عضواً مشاركًا في إحدى الفرق على صغر سنّي.

تشانفايا: إذا كنت شريكًا على قدر جسمك، فسوف تكون غير مرئي تقريبًا. تشيرينوس، عمّا قليل سنكون في البلدة، وهؤلاء القادمون ينبغي لهم أن يكونوا، وهم في الواقع بلا ريب، الحاكم وأعضاء المجلس البلدي. فلنعترض طريقهم، واشحذي لسانك على حجر التملّق، لكن، لا تفلّي من حدّه.

(يظهر الحاكم والعمدة بينيتو ريويّو، ونائبه خوان كَسْترادو، والكاتب بدْرو كاباتشو).

أقبّل أيديكم جميعًا. من منكم حاكم هذه البلدة؟

الحاكم: أنا. ماذا تريد أيها الرجل الطيّب؟

تشانفايا: لو كنتُ أملك قليلاً من الفهم، لكنت أدركت أن هذه الطلعة الأرسطوطاليسية لايمكن أن تكون طلعة شخص آخر سوى معالي حاكم هذه البلدة الشريفة، فلْيعذرْنا إذًا، لكوننا من قرية ألغرّوبيّاس.

تشيرينوس: فليعذرنا، متوسّلين إليه بزوجه وأبنائه إن كان له أبناء.

كاباتشو: السيد الحاكم غير متزوّج.

تشيرينوس: إلى أن يتزوّج، لن نخسر بذلك شيئًا.

الحاكم: حسن! ماذا تريد أيها الرجل الكريم؟

تشيرينوس: أكرمك الله، يا سيدي. وبذلك نُكرم نحن، لأن البلّوْطة لا يمكن أن تنتج إلا بلّوطًا، والإجّاص إجّاصًا، والكرْمة عنبًا، والكرَم كرَمًا.

بينيتو: حكمة تشيشيرونيكيةمن غير نقصٍ أو زيادة فيها.

كاباتشو: «تشيشيرونية» أراد أن يقول السيد العمدة بينيتو ريبويّو.

بينيتو: أريد دائمًا أن أقول خير كلام، لكنني لا أوفّق في معظم الأحيان. وأخيراً، ماذا تريد أيها الرجل الطيّب؟

تشانفايا: أنا يا سادتي، مونتييل الذي جلب صور العجائب هذه. لقد استدعاني من البلاط رؤساء جمعيات المشافي لعدم وجود كوميديين فيها. والمشافي في غاية الرغبة في وجودهم. لذلك جئت بفكرتي لعلاج هذا الخلل.

الحاكم: وماذا يعني «مسلسل صور العجائب»؟

تشانفايا: سُمّي مسلسل صور العجائب لوجود أشياء عجيبة تُرى وتُعرض فيه. وقد اخترعه وألّفه العالم (تونتونيلو) تحت سمْت خطوط عرض وأبراج وكواكب ونجوم، وبتلك الدقّة والخصائص والملاحظات حتى لا يستطيع رؤية الأشياء المعروضة فيه من يوجد في نسبه يهودي متنصرّ؛ أو إذا لم يكن من صلب أبويه شرعًا. فمن يكن ملوثًا بهاتين الآفتين الشائعتين، فلْيعفِ نفسه من رؤية صور مسلسلي التي لم يُرَ ولم يُسمع بمثلها قط.

بينيتو: الآن صرت أدرك أن العالم يأتينا كلّ يوم بشيء

جديد. وماذا في ذلك؟ أكان يدعى تونتونيلو العالم الذي ألفّ هذه الصور؟

تشيرينوس: اسمه تونتونيلو، ومولود في تونتونيلا. رجل له شهرة عريضة بأن لحيته تصل حتى وسطه.

بينيتو: أغلب الرجال ذوو اللحى الكبيرة علماء متبّحرون.

الحاكم: السيد نائب العمدة خوان كسترادو: أقرّر اعتماداً مني على حسن تدبيرك، أن تتزوّج هذه الليلة ابنتك تيريسا كسترادا بمن أنا عرّابه. واحتفاء بالعروسين أريد للسيد مونتييل أن يعرض مسلسل صوره في بيتك.

خوان: وهذا ما سأفعله خدمةً للسيد الحاكم الذي أشاطره الرأي، وأنضم إليه وأسانده، وإن كان يوجد شيء آخر معاكس.

تشيرينوس: الشيء المعاكس هو: إن لم تدفعوا أتعابنا أولاً، فلن تروا الصور أبداً. سادتي أصحاب العدالة: أليس في أجسامكم أرواح وضمائر؟ حسن! قد يدخل أفراد الشعب هذه الليلة بيت السيد خوان كسترادو، أو كائناً ما كان اسمه، فيرون محتوى ذلك المسلسل. وفي اليوم التالي لا يحضر فرد واحد عند عرضه على العامّة، لا يا سادة!

لا ، يا سـادة! «آنتي أومينا»، عليكم أن تدفعوا لنا استحقاقنا .

بينيتو: سيدتي المخرجة : لا ينبغي لأحد ذكراً كان أو أنثى أن يدفع شيئًا . لأن السيد نائب العمدة سيدفع لكم بكل تكريم . وإمّا لا ، فالمجلس البلدي، وأنتم تعرفون الطريق إليه يقينًا . لا نحتمل هنا أن يدفع عنّا أحد .

كاباتشو: ما أكبر خطأك، يا سيد بينيتو ريبويّو! وما أبعدك عن الصواب! السيدة المخرجة لم تقل أن يدفع عنّا أحد؛ بل أن ندفع أجرها مسبقًا وقبل كلّ شيء . وهذا ما تعنيه : «آنتي أومينا» .

بينيتو: انظر سيدي الكاتب بدرو كاباتشو : اجعلهم يتحدّثون بصـراحـة، أفـهـمْ بسـهـولـة . أمـا أنتم، القـراء والكتّاب، فبإمكانكم فهم هذه الرطانة القديمة التي لا أفهمها أنا .

خـوان: والآن، أيرضى السـيـد المـخـرج بنصف دسـتـة من الدوكـادات؟ وفـوق ذلك، سـأحـرص على ألا يدخل بيتي، هذه الليلة، أحد من العامّة .

تشانفايا: أرضى بها، لأنني أثق بوفائك وصدق كلمتك.

خوان: تعال معي لتقبض النقود وترى بيتي والراحة التي ستجدها فيه من أجل عرض صور عجائبك.

تشانفايا: هيّا بنا. ولا يغيبنّ عن أذهانكم الصفات التي ينبغي أن يتمتّع بها من يجرؤ على مشاهدة مسلسل الصور العجيب.

بينيتو: على عاتقي ذلك، وأستطيع أن أقول لك إني ذاهب لرؤيته وأنا مطمئنّ. لأنّ أبي كان عمدة. وأنا أنحدر من صلب مسيحيّين أقحاح أبًا عن جدّ. أفلا أستطيع بعد ذلك مشاهدة هذه الصور؟!

كاباتشو: إننا نفكر جميعًا في رؤيتها، يا سيد ريبويّو.

خوان: وقد وُلدنا على فراش آبائنا، يا سيد بدرو كاباتشو.

الحاكم: كل ذلك ضروري، كما أرى أيها السادة: العمدة ونائبه وكاتبه.

خوان: هيّا، أيها المخرج واشرع في العمل. أنا أدعى خوان كسترادو بن أنطون كسترادو وخوانا مارتشا. ولن أقول المزيد في صلاحيتي وثقتي بقدرتي على أن أقف وجهًا لوجه أمام المسلسل المذكور وأشاهده.

تشيرينوس: إن شاء الله، يا سيدي. **(يدخل البيت خوان كسترادو و تشانفايا)**.

الحاكم: سيدتي المخرجة: من هم الشعراء المشهورون وذوو النفوذ في البلاط اليوم، خاصة أولئك المسمّون كوميديين؟ لأن الشعر أصابني بطرف منه، ومارست قليلاً الفاراندولا والكاراتولا. لديّ اثنتان وعشرون مسرحية جديدة تتداخل الواحدة منها بالأخرى. وإني أنتظر فرصة سانحة للذهاب إلى البلاط فأمدّ بها بعض المخرجين.

تشيرينوس: أمّا سؤالك، سيدي الحاكم، عن الشعراء فلا أستطيع إجابتك. لأنّ عددهم كبير حتّى يغطّي وجه الشمس، وكلهم يحسبون أنفسهم مشهورين. والكوميديون هم الشعراء العاديون وهم تحت الطلب دائماً ولا داعي لذكرهم؛ لكن، قل لي بحياتك: ماذا تُدعى؟ ما اسم حضرتك؟

الحاكم: اسمي -سيدتي المخرجة- المجاز غومِثيّو.

تشـيرينوس: أستغفر الله، يا سيدي! إذًا، أأنت السيد المجاز غـومِثـيّو مـؤلف: «كـان الشـيطان شـريراً»، و«المصاب بالجنون»؟

الحاكم: ألسنة سوء أرادت أن تنسب إليّ أمثال هذه القطع. لكنّي بريء منهـا براءة السلطان التـركي من كتابتها. أمّا المؤلفات التي لا أنفي نسبتها إليّ، فهي التي تتناول موضوع طوفان إشبيلية. وإذا كـان من عـادة الشـعـراء أن ينتـحلوا شـعـر بعضهم البعض، فأنا لم أنحل شعر أحد. وإنما اسـتعنت على أشعـاري بالله. ولْيَسرقْ بعد ذلك من يسرق.

(يعود تشانفايا).

تشانفايا: تفضلّوا يا سادتي، وهلمّوا جميعًا. كل شيء صار معداً. ولا يلزمنا غير أن نبدأ.

تشيرينوس: أصارت النقود في «الجراب»؟

تشانفايا: بل بين خيوط القلب.

تشيرينوس: إذًا، أنبّهك، يا تشانفايا، إلى أن الحاكم شاعر.

تشانفايا: شاعر؟ وافرحتاه! إذًا، عدّيه مخدوعًا. لأن كلّ من على شاكلته جبُلوا على البلاهة. وهم غافلون وسريعو التصديق وطيّبو القلب.

بينيتو: هيّا، أيها المخرج، إني أتحرّق شوقًا لرؤية هذه العجائب.

(يذهبون جميعًا. تظهر خوانا كسترادا وتيريسا ريبويا وهما فلاحتان. خوانا عروس).

كسترادا: تستطيعين الجلوس هنا يا تيريسا ريبويا. ستكون الصور إزاءنا. وأنت تعلمين الشروط التي ينبغي لمن يشاهد المسلسل أن يتمتّع بها. فلا تنسي ذلك إن كنتِ ارتكبت منكراً.

تيريسا: أنت تعلمين يا خوانا أني بنت خالك ولا أزيد شيئًا. أنا جدّ واثقة بنقائي وبالتالي بقدرتي على رؤية كل ما يعرضه المسلسل. وحياة أمّي، أتمنّى أن تُنزع عيناي من وجهي إن ارتكبت خطيئة. ما أبعد العيب عني!

كسترادا: اهدئي، يا ابنة الخال! ها هم قادمون.

(يظهر الحاكم وبينيتو ريويو وخوان كسترادو والمخرج، وبدرو كاباتشو والمخرجة، والموسيقي وناس آخرون من الشعب، وأحد أبناء إخوة بينيتو، وهو بلاريب، ذلك «الجنتلمان» الراقص).

تشانفايا: اجلسوا جميعًا. لتكن الصور والمخرجة خلف تلك الستارة القماشية. وهنا الموسيقي.

بينيتو: أموسيقي هذا؟ ضعه أيضًا خلف الستارة، فإذا كنت لا أراه فسيكون من الخير ألا أسمعه.

تشانفايا: لا يحق للسيد العمدة أن يستاء من الموسيقي، لأنه في الواقع مؤمن صالح جداً، وذو حسب معروف.

بينيتو: قد يكون ذا حسب، لكنه ليس ذا وتر إطلاقًا.

رابلين: هذا جزاء الأحمق الذي يعزف أمام...

الحاكم: دعْك ياسيدرابيل، من قيل، وأنت سيدي العمدة، من قال ومن كثرة السؤال، لأن السيد مونتييل بدأ عمله.

كاباتشو: أرأيته يا سيّد كسترادو؟

خوان: وكيف لا أراه! أم أن عيني في ظهري؟

الحاكم: (**إلى جانب**). ما أعجب هذه الحالة! أنا لا أرى شمشون الآن، وهو غائب عن بصري غياب السلطان التركي ذاته؛ ومع ذلك، أنا في الحقيقة، أنحدر من نسب مسيحي شرعي قح!

تشيرينوس: احذر، يا رجل! قد يظلع الثور الذي قتل جبّار سلمنقة، انبطح أرضًا، يا رجل! انبطح أرضًا! عافاك الله! عافاك الله!

تشانفايا: انبطحوا جميعًا! انبطحوا جميعًا! هو تشوهو! هوتشو-هو! هو-تشو-هو! (**ينبطحون جميعًا بصخب**).

بينيتو: إنه شيطان تلبّس صورة ثور خصيتاه قاتمتان وبلون يختلف عن لون جسمه. ولو لم أنبطح لطار بي في الجوّ.

خوان: اعمل سيدي المخرج، إن استطعت على ألا تظهر صور تثير اضطرابنا. لا أقول ذلك، حرصًا على

نفسي، وإنما شفقة على هاتين الفتاتين اللتين فر الدم من جسميهما خوفاً من وحشيّة الثور.

كستر ادا: لن أتمالك نفسي خلال ثلاثة أيام. رأيت نفسي محمولة على قرنيه الحادين كالمخرز.

خــوان: ليتك لم تكوني بنتي، ولم تكوني على قرنيه.

الحاكم: (إلى جانب). حسبي! كلهم يرون ما لا أرى! لكنني في النهاية مضطر إلى القول إني أرى خشية وصمة العار.

تشيرينوس: هاكم قطيعاً من الجرذان التي تنحدر مباشرة من تلك التي نشأت في سفينة نوح، بعضها بيض، وبعضها شهب، وبعضها بلون الجِبْس، وبعضها الآخر زرق، وفي نهاية المطاف كلها جرذان.

كستر ادا: يا إلهي! ارحموني! أمسكيني خشية أن ألقي بنفسي من النافذة. جرذان! يا لتعاستي! صديقتي: ضمّي أطراف تنّورتك، واحذري من أن تعضّك! وانتبهي إلى أنها قليلة العدد! وحياة جدّتي، رأيتها تمرّ من أمامي!

تيـريسا: نعم، يا لتعاستي أنا! لأنها تغلغلت في ثيابي من غير أن أدري وها هو جرذ أسمر يقبض على ركبتي. النجدة، يا ساكني السماء! لأني لا أجدها لدى سكان الأرض.

بينيتو: إني وإن كانت سراويلي واسعة جداً، فلم يدخل فيها أي جرذ مهما يكن صغيراً.

تشانفايا: هذا المـاء الذي يهطل من السـمـاء مـدراراً هو من الينبـوع حيث يستمدّ نهـر الأردن مياهه. فإذا أصـابت قطرة منه وجـه امرأة انقلب كـالفـضّة المصقـولة. وإذا أصابت رجلاً صارت لحيته بلون الذهب.

كستـرادا: أتسـمـعين، يا صـديقـتي؟ أسـفـري عن وجـهك، واحرصي على أن يصيبك الماء! أوه! ما أعذب هذا السائل! غطّ نفسك، يا أبي كيلا تتبلّل.

خـوان: تغطّينا جميعًا، يا بنيّتي.

بينيتو: تبلّل كتفاي، ونفذ الماء حتى العمود الفقري.

كاباتشو: أما أنا فثيابي جافّة كالحلفاء.

الحاكم: (إلى جانب). أي شيء عظيم يمكن أن يكون ذلك؟
لم تصبني قطرة واحدة في حين يغرقون جميعًا في الماء. لكن، ماذا لو كنت ابن ضلّة، ابنًا غير شرعي، وسط هؤلاء الأبناء الشرعيين؟

بينيتو: أبعدوا هذا الموسيقي عنّي. وإمّا والله، أذهب من غير أن أشاهد صورة واحدة. تولاّك الشيطان أيها الموسيقي العفريت، وجعلك تكثر من العزف دون قرقعة ولا صوت.

رابلين: سيّدي العمدة: لا تنفش عليّ ريشك! أنا أعزف كما علّمني الله أن أعزف.

بينيتو: أو ينبغي لله أن يعلّمك العزف، يا حيوان! اذهب خلف الستارة أو أقذفك بهذا المقعد والله.

رابلين: أحسب الشيطان نفسه جاء بي إلى هذه البلدة.

كاباتشو: ما أبرد ماء نهر الأردن! إنّي وإن تغطّيت كما استطعت، فما تزال تصل شاربيّ قطرات منه. وأراهن أنهما صارا أشقرين كالذهب.

بينيتو: بل أسوأ من ذلك خمسين مرة.

تشيرينوس: هاكم الآن دستين من الأسود البارزة المخالب، والدببة أكلة خلايا النحل. فليحترس كل منكم. هي وإن كانت خيالية، فلا مانع من أن تثير الخوف، حتى لو كان أحدكم يملك قوى هرقل وبيده سيف مسلول.

خوان: مالك، يا سيدي المخرج! أتريد الآن أن تملأ البيت دببة وأسوداً؟

بينيتو: اطلب إلى السيد تونتينيلو أن يرسل إلينا بلابل وسمّاني عوضاً عن الأسود والتنّينات. سيدي المخرج، إمّا أن تظهر صور أكثر أنساً ولطفاً، أو سنقتصر على ما شاهدناه ثم سرْ برعاية الله ولا تقف لحظة أخرى في البلد.

كسترادا: سيد بينيتو ريبويّو: دعِ الدببة والأسود تظهر على الأقلّ، كرمى لنا، وسوف نُسرّ بها سروراً كبيراً.

خوان: لكنك، يا ابنتي، كنت منذ قليل تخافين من الجرذان والآن تطلبين رؤية الدببة والأسود؟

كسترادا: كل ما هو جديد سارّ، يا أبي.

تشيرينوس: هذه الفتـاة التي تظهر الآن جدّ أنيـقة، جدّ حذرة
هي المسـمّاة هيروديتا التي استطاعت برقصها
أن تحصد رأس رائد الحياة[1] جائزة لها ... ولو
وُجـد بينكم مـن يعـينهـا على الرقص لرأيتم
شـيئًا عجيبًا .

بينيتو: نعم، لهذه! هي والله، صورة جميلة لطيفة زاهية ...
انظر كـيف تتلوّى بنت العـاهرة! ابنَ أخي
ريبويّو : أنت تعرف الدقّ بالصنّاجات، فشاركها
الرقص تكنْ لنا حفلة ولا كلّ الحفلات .

ابـن الأخ: يسـرني ذلك، يا عـمّي بينيتـو ريبـويو . (**يعزف الثارباندا**).

كاباتشو: يا عيني! ما أقدم رقص الثارباندا والتشاكونا!

بينيتو: هيّا، يا ابن أخي! اصمد لهذه اليهودية المحتالة .
لكـن إن كـانت هـذه يهودية، فـأنّى لهـا رؤية
هـذه العجائب؟

تشانفايا: لكل قاعدة استثناء، سيدي العمدة .

(**يُدقّ بوق أو قرن داخل المشهد ويظهر ضابط الشؤون الإداريّة**).

---

(١) المقصود يوحنّا المعمدان .

الضابط: من السيد الحاكم هنا؟

الحاكم: أنا هو. ماذا تريد، يا سيّد؟

الضابط: أن تأمر فوراً بإيواء ثلاثين جنديّاً سيصلون هنا خلال نصف ساعة. وربما قبل ذلك. وها قد نُفخ في البوق، وداعًا!

بينيتو: أراهن أن العالم تونتونيلو نفسه أرسله إلينا.

تشانفايا: ليس كذلك. بل هي كتيبة من الفرسان تقف على بعد فرسخين من هنا.

بينيتو: الآن صرت أعرف تونتونيلو جيّدًا، وأعلم أنكما، أنت وهو، خسيسان كبيران، ولا أستثني الموسيقي. وإني آمرك أن ترسل إلى تونتونيلو ألا يرسل هؤلاء المسلّحين، وإلاّ صببت على متنك مئتي جلدة تتلو بعضها بعضًا.

تشانفايا: أقول ياسيدي، إن تونتونيلو لم يرسلهم.

بينيتو: وأنا أقول إن تونتونيلو أرسلهم حقّاً. كما أرسل هذه الحيوانات التي رأيتها.

كاباتشو: لم ترها وحدك، بل رأيناها جميعًا، يا سيد بينيتو ريبويّو.

بينيتو: لا أنفي ذلك، يا سيد بدرو كاباتشو. وأنت يا موسيقي الأحلام، كفّ عن العزف وإلا حطّمت رأسك.

يعود الضابط.

الضابط: أو أمّن المأوى للجنود؟ لقد صاروا في البلدة.

بينيتو: ماذا؟ أما يزال تونتونيلو في السوء جريًا على عادته؟ إذًا، أقسم بمن أقسم ستدفع الثمن يا مخرج الترّهات والخزعبلات.

تشانفايا: اشهدوا يا سادة، أن السيد العمدة يهدّدني.

تشيرينوس: اشهدوا أن العمدة يزعم أن مبعوثي الملك هم أنفسهم مبعوثو تونتونيلو.

بينيتو: أرجو من الله العليّ القدير أن تراك عيناي صورة من صور تونتونيلو.

الحاكم: أخشى، في الواقع، أن يكون هؤلاء المسلّحون خدعة.

الضابط: أنكون خدعة، سيدي الحاكم؟ أأنت في كامل عقلك؟

خـوان: ربما كنتم بالفعل من صنع تونتونيلو كهذه الأشياء التي رأيناها هنا. بحياتك أيها المخرج، اجعل فتاة هيروديا تظهر مرة أخرى، كي يرى هذا السيّد ما لم تره عين قط، لعلنا نرشوه بذلك فيرحل عن البلد.

تشانفايا: يسعدني ذلك! انظروا إليها عائدة إلى هنا مشيرة إلى مراقصها كيما يساعدها على الرقص.

ابن الأخ: يقينًا لن أجعلها تهدأ.

بينيتو: أوافقك يا ابن أخي! أرهقها، أرْهقْها! اجعلْها تدرْ، وتكثر من الدوران، لعمر الله، ما هذه الفتاة غير زئبق. راقصها، راقصها!

الضابط: لكن، أليس هؤلاء الناس مجانين؟ أيّ فتاة؟ وأيّ رقص؟ وأيّ تونتونيلو؟

كاباتشو: إذًا، ألا يرى السيد الضابط فتاة هيرودوت؟

الضابط: أيّة فتاة ينبغي لي أن أراها؟

كاباتشو: كفى! إنه من الذين...

الحاكم: هو من الذين...

خـوان: الضابط من الذين...

الضابط: أنا ابن القحبة التي ولدتكم جميعًا. أقسم بالله الحيّ القيّوم، إذا أشهرت سيفي، لأُخرجنّكم من النوافذ وليس من الباب.

كاباتشو: حسبُك! أنت من الذين! أنت من الذين.

الضابط: لوقلتم لي مرة أخرى يا همجًا رعاعًا إني من الذين... فلن أترك فيكم عظمًا واحدًا سليمًا.

بينيتو: لم يكن دعيّ ولا زنيم شجاعًا قط، لذلك لن نكفّ عن القول: أنت من...

الضابط: اللعنة على هؤلاء الفلاّحين. انتظروا، إذًا. **(يقبض على سيفه ويأخذ بطعنهم جميعًا، والعمدة يضرب رابلين بالعصا. وتشيرينوس تسدل الستار وتقول:)**

تشيرينوس: كان الشيطانُ البوقَ ومجيءَ هؤلاء الرجال المسلّحين. يبدو أن أحدًا ما أهاب بهم كيما يأتوا.

تشانفايا: كان الحدث فائقًا للعادة. وبلغ المسلسل ذروته. ونستطيع غدًا صباحًا أن نعرضه على الناس. ونستطيع نحن أن نغنّي انتصارنا في هذه المعركة قائلين: عاشت تشيرينوس وعاش تشانفايا.

إنْترمِس
العجوز الغيور

الشخصيات

دونيا لورِنْثيا	زوجة
هورتيغوسا	جارتها
كريستينا	خادم
كَنيثارِس	الزوج العجوز
رفيق كنيثارس	
المحضر	
موسيقي	
راقص	

العجوز الغيور

(إنترمِس)

مقدّمة

موضوع العجوز الغيور يتطابق ومواضيع الحكايات الفرنسية، وبعضَ أمثلة أدب الإكليروس لبدرو آلفونسو (المثال ١١ : عن الزوج والزوجة)، وقصصٍ شتّى من الديكاميرون لبوكاشيو. يرجّح جداً أن يكون المصدر المباشر فولكلوريّاً شفهيّاً، وإن كان ذلك لاينفي تأثّره بإحدى قصص كتاب «مئة قصة ثلِثية»، أو بإنترمِس (الأب المخدوع) المنشور في الجزء الأول من مسرحيات لوبه ده بيغا عام ١٦٠٩ . كما أن هناك صلة بينه وبين إنترمِس (الممسوسة)، وإن كان يصعب علينا أن نحدّد كما في الحالة السابقة، الأسبقية الزمنية. يرى كوتاريرو أن المصدر المرجّح قديكون

قصص سنسوبينو مبرزاً عمق التحليل النفسي في إنترمِس ثربانتس ويقول: «هو وحده يكفي لإبطال إدّعاء كل من فهم خطأ أن مسرحنا القديم يخلو من تحليل الطباع».

وإنّ تطابق موضوع هذا الإنترمِس وقصة أخرى لثربانتس: «الغيور المغالي» هو أمر لا شك فيه. يلاحظ رودريغيث مارين ازدواجيّة عملي ثربانتس حول موضوع العجوز الذي يتزوّج فتاة فيموت من الشر الذي كان يخشاه. ويرى أن القصة تعالج الصراع معالجة جادّة، وأمّا الإنترمِس فيعالجها على طريقة بوكاشيو. حتى اسمي البطلين فيهما يبديان تشابهاً لا يُدحض، وهما كارّيثالِث في القصة، وكنْييثارِث في الإنترمِس. ويريد رودريغيث مارين أن يماهي كنييثارث هذا، وفَليبيه كنييثارث الذي كان يعيش في إشبيلية عام ١٥٤٤. ولعله كان قريب أحد جدّي زوج ثربانتس.

وإن طرافة الإنترمس **وجسارته** والعناصر المشكلة له، وأسلوبه المكثّف، والمغزى الجريء المناهض للغيور الذي لا يُطاق وخاصة اللاأخلاقية الجوهرية الكامنة في الزواج بين ذوي أعمار متفاوتة كما أدركها ثربانتس بحسه الإنساني والتي

تسوّغ جزئيّا حلّ الموضوع حلاً مستهتراً، كل ذلك يُقدّم بدرامية معقّدة، وعرض شائق ضمن مجال الإنترمِس الضيّق ويخلّف وراءه بعيداً كل الهزليّات الفظّة التي تدور ببساطة حول موضوع الزوج المخدوع.

(غريا بارثر) يعدّ إنترمِس العجوز الغيور أكثر المسرحيات قحة في تاريخ المسرح. لكن كلين يحاول أن يفنّد هذا الرأي بقوله إن ارتكاب الدعارة المزعومة خلف الجلد المدبوغ هو مجرّد سخرية إيمائية عقاباً للعجوز المزعج.

كثير من إنترمسات القرن السابع عشر قلّدت هذه القطعة أو تلاقت وجوهر موضوعها؛ جدير أن نذكر منها العملين الغفُلين: المعطف والصورة، والشريف، ويتطابق في مظهر من مظاهره و: خدعة بنتانوخا، لموريته، و(السلة وسادن الكنيسة) لفرنسيسكو ده كاسترو ١٧٠٨، و(الغيور) لسانبييه ١٧٩١ في القرن الثامن عشر.

العجوز الغيور

(تظهر دونيا لورِنْثيا وكريستينا خادمتها، وجارتها هورتيغوسا).

دونيا لورِنْثيا: معجزة يا سيدة هورتيغوسا، أن لم يفتح القفل حزني وعذابي ويأسي. هذا أول يوم منذ زواجي به، أكلم شخصاً من خارج البيت، ليتني أراه وقد فارق هذه الدنيا، هو ومن زوّجني به.

هورتيغوسا: اهدئي، سيدة دونيا لورِنْثيا، ولا تشكي هذه الشكوى. فبحلّةٍ قديمة تُشرى حلّة أخرى جديدة.

د. لورِنْثيا: بهذه الأغاني والأمثال وأشباهها خُدعت. اللعنة على نقوده وأستثني الصلبان عليها. اللعنة على جواهره، وثيابه الفاخرة؛ واللعنة على كل ما أعطانيه ووعدني به. ماذا ينفعني ذلك كله إذا كنت وسط الغنى فقيرة، وإذا كنت وسط الوفرة جائعة؟

كريستينا: في الحقيقة، يا سيدتي، أنت على صواب. أحبّ إليّ أن أكون فقيرة، وزوجي شاب من أن أكون زوجة حزينة لهذا العجوز المتعفّن الذي اتخذته زوجًا.

د. لورِنْثيا: أ أنا اتخذته زوجًا، يا ابنة أخي؟ أقسم لك، فرضه عليّ من استطاع. وأنا كنت صبيّة أَمْيلَ إلى الطاعة مني إلى العصيان. لكني لو كنت على معرفة كبيرة بهذه الأشياء لكنت قطعتُ لساني بأسناني، ولا قلت نعم، التي تُلفظ بثلاثة أحرف، وتبعث على البكاء ألفي عام. لكنّي أتصوّر أنه كان أمرًا محتومًا. وأن ما كُتب علينا، لا ينفع في ردّه حذر البشر ولا مسعاهم.

كريستينا: يا إلهي، احمنا من هذا العجوز السيّئ! فهو لا يفتأ يردّد كل الليل: «هاتي المبولة. خذي المبولة. انهضي يا كريستينا وسخّني بعض الخرق فأنا أموت من ألم الحنك. أعطني تلك الأدوية فقد أنهكتني الحصاة». في مخدعه أدوية ومراهم كما في صيدلية. وأنا لا أكاد أعرف كيف ارتدي ثيابي. ومع ذلك ينبغي لي أن أخدمه كممرّضة

قبيح! قبيح، قبيح! عجوز ملحاح أفتق كما هو
غيور، بل أكبر غيور في الدنيا.

د. لورِنْثيا: تقولين الحقيقة، يا بنت أخي.

كريستينا: كنت أرجو من الله ألا أقول لك ذلك.

هورتيغوسا: والآن، اعملي يا سيدة لورنثيا ما نصحتك به،
تريْ أن وضعك تحسّن بنصيحتي. الشابّ
كالعنّاب الأخضر: هو محبٌّ جيّد، ويعرف أن
يصمت ويشكر على ما يُصنع له. فإذا كانت
غيرة العجوز وحذره لا تدع لنا مجالاً للأخذ
والردّ، فاحزمي أمرك وتشجّعي وبالتدبير الذي
قمت به سأدخل الشاب مخدعك وأخرجه منه
حتى لو كان للعجوز عيون أكثر مما لآرغوس،
وحتى لو كان يرى أكثر مما يرى عراف مظهر
يزعم أنه يرى حتى سبع طبقات تحت الأرض.

د. لورِنْثيا: أمَا وأنّي غرّة مبتدئة، فأنا خائفة. ولا أريد أن
أخاطر بشرفي مقابل متعة.

كريستينا: هذا يذكرني يا سيدتي بنشيد غومِث-آرياس:

اشفق عليّ، سيد غومِث آرياس

فأنا طفلة وصبية،

ولم أرَ نفسي هكذا قط.

د. لورِنْثيا: لا شك أن روحًا خبيثة تتكلّم من خلالك، يا بنيّة، حسب الأشياء التي تقولينها.

كريستينا: لا أدري من يتكلّم من خلالي. لكنني أعرف أن أصنع كل ما قالته السيدة هورتيغوسا من غير أن أنقص منه كلمة.

د. لورِنْثيا: وماذا عن الشرف، يا بُنيّة؟

كريستينا: وماذا عن تسليتنا، يا عمة؟

د. لورِنْثيا: وإذا علَم؟

كريستينا: وإذا لم يعلم؟

د. لورِنْثيا: ومن يضمن لي أنه لن يعلم؟

هورتيغوسا: من؟ التدبير الحسن والذكاء والحذق، وخاصة الشجاعة وحيلي.

كريستينا: انظري، يا سيدة هورتيغوسا: آتيها بمحب أنيق طلق اللسان، فيه شيء من الجرأة، وأن يكون شابًّا على وجه خاص.

هورتيغوسا: كل هذا الخصال متوفّرة في من أفترضه. يضاف إليها خصلتان أخريان هو غنّي وسخي.

د. لورِنْثيا: أنا لا أرغب في الثروة، يا سيدة هورتيغوسا. فجواهري تفيض عن حاجتي، واختلاف ألوان ثيابي يصيبني بالاضطراب. حتى الآن لا أرغب في شيء سوى أن يمنح الله كنْييثارس الصحة: أنا كاسية أكثر من جُمّار نخلة، وعليّ من المجوهرات أكثر مما هو موجود في واجهة صائغ غني. أرجو ألا يسدّ النوافذ، ولا يغلق الأبواب ولا يزور البيت كلّ ساعة، ويطرد القطط والكلاب منه لمجرد أنها ذكور، ولا يصنع هذه الأشياء وغيرها مما لم يُر مثله في مجال الحيطة والحذر، وأنا أعفيه من العطايا والهدايا.

هورتيغوسا: أهو بهذه الغيرة كلها؟

د. لورِنْثيا: ابتاع ذات يوم سجادة بسعر زهيد، فلم يرغب فيها لأن عليها صور وجوه. وابتاع أخرى عليها صور بنات بسعر أغلى، وإن لم تكن في جودة الأولى. عليكِ أن تجتازي سبعة أبواب قبل أن

تصلي مخدعيَ، عداك عن الباب المطل على الشارع. وكلها تُقفل بالمفاتيح، ولم أستطع أن أتحقّق أين يخفيها ليلاً.

كريستينا: أحسب يا عمّتي أنه يحفظ مفتاح الباب الخارجي بين ثنايا القميص.

د. لورِنْثيا: لا تصدّقي ذلك، يا بُنيّة. أنا أنام معه، فلم أره ولم ألحظه يحمل مفتاحًا قط.

كريستينا: وفوق ذلك، يقضي الليل كله متجوّلاً كالجنيّ في أنحاء البيت. وإذا ما عُزفت موسيقى في الشارع، يرمي أعضاء الفرقة بالحجارة كي يبتعدوا، هو سيّئ، وهو خبيث وهو عجوز. ولا ينبغي لي أن أقول أكثر من ذلك.

د. لورِنْثيا: سيدة هورتيغوسا، اذهبي قبل أن يأتي الجار ويجدنا معًا، أو أننا نخسر كل شيء. وما ينبغي لك صنعه، اصنعيه فوراً: فأنا جدّ ضجرة حتى لا أجد وسيلة غير أن أعلّق حبلاً في عنقي وأغادر هذه الحياة السيّئة.

هورتيغوسا: لسوف تزول عنك هذه الرغبة السيئة، ما إن نبدأ العمل الآن. وسوف تستولي عليك رغبة أخرى أكثر سلامة وتزيدك سروراً.

كريستينا: فليكن ذلك، وإن كان سيكلّفني عناء كبيراً. لكني أحبّ سيدتي، وإني أموت إذْ أراها متفكّرة مغتمّة وهي تحت سلطان هذا العجوز النّكس. بل هو أكثر من عجوز؛ ولا أتعب من أن أقول له عجوز.

د. لورِنْثيا: لكنه، في الواقع، يحبّك يا كريستينا.

كريستينا: أوَ يكون بذلك غير عجوز؟ ولطالما سمعتهم يقولون أن العجائز أصدقاء البنات الصغار دائماً.

هورتيغوسا: هذي هي الحقيقة، يا كريستينا. ووداعًا، وسوف أعود ما إن أفرغ من تناول طعامي. والتزمي بما اتّفقنا عليه، نخرج بنتيجة جيّدة.

كريستينا: سيدة هورتيغوسا: اصنعي لي معروفًا بأن تجلبي لي لعبة صغيرة أتسلّى بها.

هورتيغوسا: سأجلبها يا فتاة ملوّنة.

كريستينا: لا أريدها ملوّنة، وإنما حيّة صغيرة كاللآلئ.

د. لورِنْثيا: وإذا رآها سيدك؟

كريستينا: أقول له إنها جنّي. وإني أخاف منه وأتسلّى به.

هورتيغوسا: سأجلبها لك، ووداعًا! (**تذهب**).

كريستينا: انظري يا سيدتي: إذا جاءت هورتيغوسا بالشاب وباللعبة ورآهما السيد، فليس علينا إلا أن نقبض عليه ونخنقه ونلقي به في البئر، أو ندفنه في إسطبل الخيل.

د. لورِنْثيا: أحسبك قادرة على فعل ذلك، خيراً من قوله.

كريستينا: فلْيتخلّ العجوز عن الغيرة، وليدعْنا نحيَ حياتنا بهدوء، فلا نصنع له شراً ونعيش كالقدّيسات. (**تغيبان**).

يظهر كَنّيثارِس العجوز ورفيقه.

كَنّيثارِس: رفيقي، رفيقي: إذا تزوّج ابن السبعين بنت الخامسة عشرة، فهو إمّا أنه يفتقر إلى العقل، أو أن لديه رغبة في زيارة العالم الآخر بأسرع ما يمكن. فما إن تزوّجت لورنثيا مفتكراً أن أجد فيها رفيقة وسلوى، وشخصاً يقف على رأس سريري ويطبق عيني عند الموت، فإذا بحشد

من الشجون والهموم يداهمني. عندي بيت، وبحثت عن شريك، وكنت مستريحاً وفقدت راحتي.

الرفيق: يا رفيقي: كان ذلك منك خطأ، لكنه ليس كبيراً جداً. لأن الزواج حسب قول الحواري خير من الاحتراق.

كنّيثارِس: لا يوجد فيّ ما يحترق، يا رفيق. فإن أدنى لهب يجعلني رماداً. أردت رفقة، وبحثت عنها ووجدتها. لكنْ فليُصلح الله شأني بقدرته.

الرفيق: أتعاني من الغيرة، يا رفيق؟

كنّيثارِس: أغار من الشمس إذا نظرت إلى لورنثيا، ومن الهواء إذا مسّها، ومن التنّورة التي تحتك بها.

الرفيق: أو منحتها فرصة؟

كنّيثارِس: ولا أفكّر فيها. ولا مجال للقول: لماذا، وكيف ومتى وأين. فالنوافذ مشبكة بالحديد والشعريات إضافة إلى قفلها بالمفتاح. والأبواب لا تُفتح قطّ. ولا تعبر عتباتي جارة ولن تعبرها ما أبقاني الله على قيد الحياة. انظر

يا رفيقي: الشرور لا تأتي النساءَ من الحفلات ولا من المواكب، ولا من كلّ مظاهر التسلية العامّة. أمّا خطأهن وعثارهن، والضرر الذي يلحق بهنّ، فيأتيهن من بيت الجارات والصديقات. وإن صديقة تنطوي على شرّ أكثر مما يطوي الليل تحت جناحه. ويُعقد في بيتها من الاجتماعات والحفلات أكثر مما يُعقد في جمعية.

الرفيق: وهذا ما أحسبه. لكن، إذا كانت السيدة دونيا لورنِثيا لا تخرج من البيت ولا يدخل بيتها أحد، فما الذي يعكر صفو صديقي؟

كَنّيثارِس: ذلك أنه لن يمضي وقت طويل حتى تسقط لورنْثيا فيما تفتقده. وستكون سيّئة، جدّ سيّئة حتى أخشاها بمجرّد التفكير فيها. ومن خوفي منها أيأس، ومن يأسي أعيش منكّدًا.

الرفيق: وعن حقّ قد يكون هذا الخوف. لأنّ النساء يرغبن في التمتّع بكلّ ثمرات الزواج كاملة.

كَنّيثارِس: زوجي تتمتّع بها كاملة.

الرفيق: وهنا الضرر، يا صديق.

كَنّيثارِس: لا، لا، حتى لا أفكّر في ذلك. لأن لورنْثيا أبسط من حمامة. وحتى الآن لا تفهم شيئًا من هذه الألاعيب. وداعًا، يا رفيقي. فأنا أريد دخول البيت.

الرفيق: وأنا أريد الدخول معك لأرى سيدتي لورنْثيا.

كَنّيثارِس: ينبغي لك أن تعلم يا رفيق، أنّ قدماء اللاتين كانوا يستعملون مثلاً يقول: «آميكوس، آرسكهِ آد آراس»، يعني: «الصديق حتى مذبح المعبد». يشيرون بذلك إلى أنّ الصديق ينبغي له أن يصنع لصديقه كلّ ما لا يغضب الربّ. وأنا أقول: أنت صديقي حتى الباب. فلا ينبغي لأحد أن يدخل فرجار بيتي. فوداعًا يا صديقي، واعذرني. (**يذهب**).

الرفيق: لم أرَ في حياتي رجلاً أكثر حذرًا وغيرة وإزعاجًا منه. لكنه من أولئك الذين يجنون على أنفسهم؛ ومن أولئك الذين يموتون دائمًا من الشرّ الذي يخشونه.

(د. لورنثيا و كريستينا).

كريستينا: سيدتي: تأخّر سيدي كثيراً، وأكثر منه تأخّرت هورتيغوسا.

د. لورِنْثيا: ليته لا يأتي هنا قط، ولا هي أيضاً. لأنه هو يثير غضبي، وهي اضطرابي.

كريستينا: يجب علينا تجريب كل شيء، يا سيدتي. فإذا كانت النتيجة سيئةً فاطرديها.

د. لورِنْثيا: آي، يا بنيّتي! هذه أشياء ليتني أعلم عنها قليلاً أو أعلم كلّ الضرر الناجم عن تجريبها.

كريستينا: أقسم لك يا سيدتي، إنك ضعيفة العزيمة. ولو كنت في مثل عمرك لما خشيت الرجال المسلّحين.

د. لورِنْثيا: أقول لك مرة أخرى، وسوف أقول لك مئة ألف مرّة إن إبليس يتكلّم بفمك. لكن، يا ويلي! من أين وكيف دخل سيّدك؟

كريستينا: قد يكون فتح الباب بالمفتاح الرئيس.

د. لورِنْثيا: أوكل إلى الشيطان مفاتيحه ورئاسته.

يظهر كَنْييثارِس.

كَنْييثارِس: مَنْ كنت تكلّمين، يا سيدة لورنثيا؟

د. لورِنْثيا: كنت أكلّم كريستينا.

كَنّيثارِس: فكّري جيّدًا، يا سيّدة لورنثيا.

د. لورِنْثيا: أقول كنت أكلّم كريستينا. ومن ينبغي لي أن أكلّمه؟ أو لديّ أحد أكلّمه، لحسن الحظّ؟

كَنّيثارِس: عساك تريدين أن تناجي نفسك مناجاة تعود عليّ بالضرر.

د. لورِنْثيا: أنا لا أعرف هذه المناجاة التي تتحدّث عنها. ولا أرغب في معرفتها. ودعنا في سلام.

كَنّيثارِس: حتى صلاة العشاء لا أريد أن أدخل معك في حرب. لكن، من يقرع الباب بهذا الإلحاح؟ انظري، يا كريستينا من هو. فإذا كان فقيراً أعطيه صدقة واصرفيه.

كريستينا: من هناك؟

هورتيغوسا: أنا الجارة هورتيغوسا، يا سيدة كريستينا.

كَنّيثارِس: هورتيغوسا وجارة؟ كان الله في عوني! اسأليها يا كريستينا ماذا تريد وأعطيها حاجتها شرط ألا تجتاز عتباتي.

كريستينا: ماذا تريد السيدة الجارة؟

كنْيثارس: اسم جارة يصيبني بالاضطراب والفزع. ادعيها باسمها الحقيقي.

كريستينا: أجيبي: وماذا تريد السيدة هورتيغوسا؟

هورتيغوسا: أريد أن أطلب إلى السيد كنييثارس شيئًا صغيراً تُزهق الحياة والشرف والروح في سبيله.

كنْييثارس: قولي، يا بُنيـة، لهـذه السـيـدة إني أبذل الحيـاة والشرف حتى لا تدخل بيتي.

د. لورِنْثيا: يا إلهي! ما أغرب هذا الشرط! أو لستُ أمامك؟ أو سوف تأكلني بعينيها؟ أم سوف تحملني في الهواء؟

كنييثارس: فلتدخل مع ألف شيطان، إذا كانت راغبة في ذلك.

كريستينا: ادخلي، يا جارة.

كنييثارس: ما أشأم كلمة جارة عليّ!

(تظهر هورتيغوسا حاملة جلدًا مشغولاً ملوّنًا. ويظهر في زوايا الجلد الأربع ملوّنة صور رودامونته، ومندريكادو، وروخيرو وغُرداسو، رودامونته يبدو مقنّعًا كما هو ملوّن).

هورتيغوسا: سيدي، حبّة روحي: تحركّت مدفوعة بشهرتك وإحسانك الكبير وصدقاتك الجزيلة، وتجرأت على المجيء إليك راجية منك أن تصنع لي معروفًا وإحسانًا وصدقة بشراء هذا الجلد مني، لأن ابني محبوس لجراحٍ ألحقها بدبّاغ طلبت العدالة أن يكشف عليه طبيب جرّاح. وليس لديّ ما أدفع له أجره، وأخشى أن تُلقى عليه تهم أخر قد تكون كثيرة لأنّ ابني فاتك، وأنا أرغب في إخراجه اليوم أو غداً من السجن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً. الجلد جيّد وهو جديد، وسوف أعطيكه بالسعر الذي تشاء، مهما يكن سعره الحقيقي أعلى، فهو من جملة الأشياء التي خسرتها في حياتي. أمسكي بهذا الطرف يا سيدتي، وانشريه كي يرى السيد كنييثارس أني لا أخدعه بكلماتي. ارفعيه أكثر يا سيدتي، وانظري ما أجمل مسقطه، حتى تبدو رسوم اللوحات حيّة. **(عند رفع الجلد وعرضه يدخل من خلفه شاب أنيق. كنْييَثارس ينظر إلى اللوحات ويقول):**

كنْييثارس: أوه، ما أجمل رودا مونته! وماذا يبتغي السيد المقنّع في بيتي؟ ولوعلم حبّيَ هذه الأشياءَ وهذه الأقنعة لانتابه الفزع.

كريستينا: سيدي، أنا لا أعلم شيئًا عن الأقنعة. وإذا كان دخل البيت فالذنب في ذلك على عاتق هورتيغوسا. وليأخذني الشيطان إن قلت أو صنعت شيئًا كيما يدخل. لا، وبذمّتي.

كنْييثارس: أعلم أن الذنب يقع على عاتق هورتيغوسا، لأنها لا تعلم وضعي ولا مقدار كرهي لتلك الرسوم.

د. لورِنْثيا: كريستينا تتحدث عن الرسوم وليس عن شيء آخر.

كريستينا: نعم، عنها أتحدّث. كان الله في عوني! لقد رُدّت إليّ الروح بعد أن طارت شعاعًا.

د. لورِنْثيا: ليتني أرى هذا المنقار بطول إحدى عشرة قصبة، محروقًا. أخيرًا، من يضطجع مع الفتيان إلخ. إلخ...

كريستينا: يا ويلي! لشدّ ما عرّضت نفسي للخطر بهذه الفوضى!

كنْبيثارس: سيدة هورتيغوسا: أنا لست من محبي الصور المقنّعة أو في سبيلها لتتقنّع. خذي هذا (الدوبلون) واستعيني به على قضاء حاجتك. وينبغي لك أن تذهبي فوراً. وخذي معك جلدك.

هورتيغوسا: عاش سيدي سنين أكثر مما عاش ماتوته المقدسي إلى جانب سيدتي... التي لا أعرف اسمها وأرجوها أن تأمرني بأن أخدمها ليلاً ونهاراً بالحياة وبالروح. فروح سيدتي هي، بلا ريب، كروح يمامة ساذجة.

كنْبيثارس: سيدة هورتيغوسا: اختصري واذهبي. وأنا لست الآن بصدد محاكمة أرواح الآخرين.

هورتيغوسا: إذا كنت يا سيدتي بحاجة إلى لصقة لأمّك فلديّ منها ما يشفي بمعجزة. وإذا كانت تؤلمك أسنانك، فأنا أحفظ كلمات تزيل الألم وكأنما يُنزع باليد.

كنْبيثارس: اختصري، سيّدة هورتيغوسا، لأن السيدة ليس لها أمّ ولا تؤلمها أسنانها وكلها سليمة ولم تخلع ضرساً واحداً في حياتها.

هورتيغوسا: سوف تخلعها بإذن الله، لأنه سيهبها عمراً مديداً. والشيخوخة هيَ الخراب الكامل للأسنان.

كنْبيشارس: يا الله! لا يمكن لهذه الجارة أن تتركني. يا هورتيغوسا، أو يا شيطان أو يا جارة، أو يا كائناً من كنت: اذهبي بحفظ الله وغادري بيتي.

هورتيغوسا: هذا طلب حقّ، ولا تغضب يا سيدي، فأنا ذاهبة! (**تذهب**).

كنْبيشارس: آه من الجارات، من الجارات! خُدعت بطيب كلمات هذه الجارة، لأنها خرجت من فم جارة.

د. لورِنْثيا: أقول إن موقفك بربري ووحشي. وماذا قالت الجارة حتى تغضب عليها هذا الغضب؟ كلّ أعمالك الطيبة تخلطها بخطيئة مميتة. أعطيتها دستتين من الريالات وأرفقتها بدستتين أخريين من السباب. يا فم الذئب! ويا لسان الأفعى وصومعة الخبائث!

كْنيشارس: لا! لا! عاقبة هذه القضية وخيمة. لا يبدو لي حسنًا أن تدافعي عن جارتك هذا الدفاع.

كريستينا: سيدتي: ادخلي وهدّئي من روعك. ودعي سيدك فهو يبدو غضبان.

د. لورِنْثيا: وهذا ما سأصنعه، يا ابنة أخي! ولن يرى وجهي خلال ساعتين. وأقسم لسوف أخون ثقته بالشرب مهما يكن رفضه لذلك. (**تنصرف**).

كريستينا: أرأيت يا سيدي، كيف أغلقت الباب بعنف؟ أحسب أنها ستبحث عن خشبة تعزّز بها إغلاق الباب.

د. لورِنْثيا: (**من الداخل**). كريستينيكا! كريستينيكا!

كريستينا: ماذا تريدين، يا عمة؟

د. لورِنْثيا: ليتك تعلمين أي شاب ساقه حسن الحظ إليّ! هو شاب حسن الهيئة، شعره أسود وتفوح من فمه رائحة ألف زهرة ليمون...

كريستينا: يسوع! يا له من جنون، ويا لها من حماقات! أأنت مجنونة، يا سيدتي؟

د. لورِنْثيا: أنا في كامل وعيي. ولو رأيته لسُرّت روحك به.

كريستينا: يسوع! ما لهذا الجنون؟ ما لهذه الحماقات؟ خاصمها، يا عمّ، كيلا تتجرأ على قول ما يخدش الحياء وإن يكن سخرية.

كنْيشارس: أنت سخيفة، يا لورنثيا! لستُ مستعداً، والله، حتى أعاني من سخرياتك.

د. لورنْثيا: ما هي غير حقائق. حقائق لا يمكن أن تُدحض في هذا المجال.

كريستينا: يسوع! يا لهذا الجنون! يا لهذه الحماقات! قولي يا سيدتي، أعندك لعبتي؟

د. لورنْثيا: لا، يا بنيتي. في المرّة القادمة ستأتيك بها الجارة هورتيغوسا.

كنْيشارس: لورنثيا: قولي ما تشائين. لكن، لا تلفظي بفمك كلمة جارة، لأن جسمي يرتعد إذا سمعتها.

د. لورنْثيا: وأنا يرتعد جسمي حبّاً بالجارة.

كريستينا: يا إلهي! لهذا الجنون ولهذه الحماقات!

د. لورنْثيا: الآن علمت من أنت يا عجوزاً لعيناً! حتى هذه اللحظة كنت مخدوعة بك.

كريستينا: خاصمها، يا سيدي. خاصمها فقد تواقحت كثيراً.

د. لورِنْثيا: أرغب في غســـل لحية الشــاب المبعثرة بإناء مملـوء بماء الملائكــة لأن وجهه كوجه ملاك جميل.

كـريســتينا: يا إلهي، لهذا الجنون، ولهذه الحـماقـات! مزّقها يا سيدي.

كنْيثارس: لن أمزقها بل سأحطّم الباب الذي يحجبها.

د. لورِنْثيا: لا حاجة بك إلى ذلك. ها هو دونك مفتـوحًا. ادخل ترَ إنْ كان ما أقوله حقّـًا.

كنْيثارس: إني وإن كنت أعـرف أنك تسـخرين، فسـوف أدخل، لأهدِّئ من غـضـبك (**عند دخول كنيثارس تضربه بإناء الماء بين عينيه. يسعى لتظيف نفسه. تهرع إليه كريستينا ود. لورِنْثيا. أثناء ذلك يخرج الشـاب ويذهب**). يا ربي! كـدت تصيبينني بالعمى، يا لورنثيا. إلى الشيطان سخريتك إن أدّت إلى عمى العيون!

د. لورِنْثيا: انظروا إلى من زوّجنيه الحظّ! إن هو غير أخبث الرجال في الدنيا. انظروا كيف صدّق أكاذيبي بأوهامه القائمة على مادّة الغيرة التي تحطّ من

قـدر المـرء؛ وجعـل حظّي منكوبًا. ادفـع، يا شعري ديون هذا العجوز. ابكي يا عيني آثام هذا اللعـين! انظروا كـيَف لطّخ شـرفي وصدقي، إذْ جعل من الشبهات يقينًا، ومن الأكاذيب حقائق؛ ومن السخرية جداً، ومن التسليات لعنات! آي! ليت الروح تُنزع مني!

كريستينا: سيدتي، لا تطلقي هذا الصياح، فسوف يلتمّ علينا الجيران.

العدالة: **(من الداخل).** افتحوا هذه الأبواب، افتحوا فوراً، وإمّا لا، فسوف نخلعها..

د. لورنْثيا: افتحي يا كريستينيكا، وليعلم الناس جميعاً براءتي وخبث هذا العجوز.

كنْيشارس: وحقّ الله، كنت أحسبك تسخرين. اسكتي، يا لورنثيا.

(يدخل المحضر والموسيقيون وراقص وهورتيغوسا).

المحضر: ما هذا؟ ما هذا الشجار؟ من يطلق الصيحات هنا؟

كنْيشارس: سيدي، شيء لا يؤبه به. شجار بين زوج وزوجته سرعان ما يمضي.

موسيقي: نحن -الموسيقيين- كنا والله في عرس على مقربة من هنا. وهرعنا لما سمعنا الصياح بفزع غير قليل، مفكّرين في أنّ الأمر شيء آخر.

هورتيغوسا: وأنا أيضًا، قسمًا بروحي الخاطئة.

كنْيشارس: في الحقيقة، يا سيدة هورتيغوسا، لولاك لم يحدث ما حدث.

هورتيغوسا: كل ذلك من صنع خطيئاتي! ما أشدّ تعاستي، إذْ تُلقى على عاتقي من دون سبب ما، كل الذنوب التي يرتكبها الآخرون.

كنْيشارس: سادتي: عودوا على أعقابكم سالمين جميعًا. أنا أشكر لكم حسن رغبتكم، فقد ساد السلام بيني وبين زوجي.

د. لورِنْثيا: إن كان كما تقول، اطلب أولاً الصفح من الجارة إن كان راودك سوء ظنّ بها.

كنْيشارس: إذا كان ينبغي لي أن أطلب صفحًا من كل النساء اللاتي أظن بهن سوءًا فهذه مسألة لا نهاية لها. لكني مع ذلك، سوف أطلب الصفح من السيدة هورتيغوسا.

هورتيغوسا: وأنا أصفح عنك في الدنيا وفي الآخرة.

موسيقي: لكننا في الواقع، لم نأت هنا عبثًا. اعزفوا يا رفاق، وارقص يا راقص ولنحتفل بالسلام بهذه الأغنية.

كنْبيشارس: لا أريد موسيقى، يا سادة. أنا أعدّ نفسي كأنما سمعتها.

موسيقيون: حتى لو لم ترد. **(يغنون)**.

الماء يوم سان خوان

يزيل الخمر ولا يعطي خبزًا.

والخصومات إذا حصلت يوم

سان خوان

تمنحنا الهدوء كل العام.

(يرقص الراقص).

تُمطر قمحًا فوق البيادر

والأعناب ما تزال حصرمًا

فلا يوجد فلاح يدبّر

براميل ولا أهراء

لكن الخصومات الحقيقية

إذا حصلت يوم سان خوان

تمنحنا الهدوء كل العام.

(يرقص الراقص).

في حمارّة القيظ

يبلغ الغضب ذروته

لكن الهمم بعد ذلك

الوقت تصبح في انحطاط.

هذا ما يقوله الصدوق

أن الخصومات يوم سان خوان

تمنحنا الهدوء كل العام. **(يرقص الراقص).**

الشجار بين المتزوّجين

كهذا الشجار يحدث دائماً

وينتهي بعدئذ بالفرح

من غير أن ندري.

فالشمس التي تطلع من وراء السحب

تُسر بعد الجهد .

الشجار يوم سان خوان

يمنحنا الهدوء كلّ العام .

كنْبيشارس: انظروا، يا سادة، إن كنت بعد هذا التمرّد والشجار الذي أثارته جارتي، على حقّ بأن أظنّ سوءاً بالنساء .

د. لورنْثيا: لئن كان زوجي يكره جاراته، فأنا أقبّل أيديكنّ يا جاراتي العزيزات .

كريستينا: وأنا أيضاً . لكن إذا جلبت لي جارتي لعبتي فسوف أعدّها خير جارة . وداعاً يا سيداتي الجارات .

إنترمِس
قاضي الطلاق

الشخصيات

ماريانا	زوج العجوز
العجوز	
القاضي	
الكاتب	
جندي	
دونيا غيومار	زوج الجندي
طبيب جراح	
آلدونثاده ميناخاس	زوج الطبيب
حمّال	
موسيقيان	

قـاضي الطلاق

(إنترمِس)

مقدّمة

هذا العمل، بالنظر إلى موضوعه يدور حول الزيجات التعيسة يمثّل شخوصًا كاريكاتورية كالعجوز الهمّ، والجندي الفقير، والجراح والحمّال. أما الزوجات الثلاث اللاتي يظهرن على الخشبة وهن أزواج الرجال الثلاثة الأول المذكورين، فلا يكدن يختلفن عن بعضهنّ إلا قليلاً. فالطبع الحادّ والاستياء والعصاب والثرثرة تتماثل في الجوهر عند الثلاث جميعًا. أمّا المشكلة الزوجية التي تدفع إلى طلب الطلاق فهي فارق السنّ عند العجوز وماريانا، والصعوبات الاقتصادية عند الجندي ودونيا غيومار، وتنافر الطباع عند الجراح والحمّال.

ولعلّ تجربة مرة ومخففة من حياة ثربانتس الزوجية نفسها تطلّ علينا من بين ثنايا هذه اللوحة الهجائية. لكني أحسب من المغالاة مماهاة ثربانتس وجنديّ الإنترمس الشاعر الفقير كما يرى بعض النقاد. ومع ذلك، تدور حول الجندي إنْ في كلماته أم في كلمات زوجه لوحة الحياة في مدريد -كأمكنة البطالة والتسلية، وجسر توليدو وبيوت اللعب- بنغمة فيها قليل من الظرف تسود مجمل العمل الناقد. صورة الحمّال -الذي لا تظهر زوجه على الخشبة- هامّة لالتصاقها المرّ بالبؤس الجميل. ويظل النزاع بين طالبي الطلاق محتدماً، ويختتم الإنترمس بدخول الموسيقيين اللذين يدعوان القاضي والحضور جميعاً للاحتفال بإشاعة الهدوء بين الزوجين المتنافرين مغنين هذه اللازمة المهدّئة:

أسوأ صلح خير

من خير طلاق.

أما تاريخ المسرحية فيُفترض أنه لا حق لعودة البلاط من بلد الوليد إلى مدريد. فهي في هذه الحالة، قد تكون من أخريات إنترمسات ثربانتس.

لئن يكن هذا الإنترمس هامّاً شأنه شأن كل القطع القصيرة التي كتبها مؤلف الكيخوته، فلا يبدو لي أنه من أحسنها وخيرها.

قاضي الطلاق

(يظهر القاضي جالساً على كرسي، ورجلان آخران هما الكاتب والمدعي العام، ثم يظهر العجوز وزوجه ماريانا).

ماريانا: ما يزال قاضي الطلاق جالساً على الكرسي في قاعة المحكمة. هذه المرّة ينبغي لي إمّا أن أُمْسك أو أُسرّح. عليّ أن أخرج من هذه الورطة معفاة من الضرائب والرسوم كالباشق.

العجوز: بحقّ الله، يا ماريانا، لا تزوّقي قضيّتك كلّ هذا التزويق. تكلّمي بهدوء، حبّاً بالله. وها قد لفتِّ إلينا انتباه الجيران كلّهم بصياحك ثم ها هو السيد القاضي دونك. وتستطيعين إعلامه بدعواك بأقلّ الأصوات.

القاضي: فيما تختصمان يا أهل الخير؟

ماريانا: سيّدي: أطلب الطلاق، الطلاق، ثم الطلاق! وألف مرّة أخرى الطلاق.

القاضي: الطلاق ممّن، ولمَ، يا سيدتي؟

ماريانا: ممّن؟ من هذا العجوز الماثل أمامك.

القاضي: ولِمَ؟

ماريانا: لأنني لا أستطيع تحمّل إزعاجاته، ولا القيام دائمًا بتمريضه من أمراضه التي لا حصر لها. ولم يُربّني أبواي لأكون ممرّضة ومن عاملات المشافي. لقد جلبت «دوطة» هامّة جداً إلى يدي هذه القفّة من العظام التي تجعل أيام حياتي ذاوية. لما دخلت تحت سلطته كان وجهي يتلألأ كالمرآة. والآن صار مجعّداً. فافسخ سيدي القاضي، هذا الزواج إن لم ترغب في أن أشنق نفسي. انظر، انظر إلى هذه الأخاديد في هذا الوجه وإلى هذه الدموع التي أسكبها إذْ أرى نفسي زوجًا لهذه الجثّة.

القاضي: لا تبكي، يا سيدتي. وغضّي من صوتك وجفّفي دموعك. ولسوف أنصفك.

ماريانا: دعني، يا سيدي، أبك. بذلك أجد راحتي. فمن الواجب أن يُحــــدَّد زمن الزواج في البلدان والممالك، ويفُسخ كل ثلاث سنوات أو يُثبّت مرة أخرى كالأشياء المؤجّرة. ولا ينبغي له أن يدوم مدى الحياة بألم دائم لكلا الطرفين.

القاضي: لربما حدث ذلك وقد يحدث، لو أمكن لهذا الحكم أن يُطبق أو وجب تطبيقه ولقاء مال. لكن، حدّدي يا سيدتي على شكل أدقّ الأسبابَ التي تدفعك لطلب الطلاق.

ماريانا: لبرود زوجي ولعنفوان عمري؛ ولانتزاعه النوم من جفني كيما أنهض في منتصف الليل لأسخّن القماش وأكياس النخالة وأضعها على خاصرته. ولأضع له مرّة هذا الرباط، ومرّة أخرى ذاك. ليتني أراه مربوطًا على عمود العدالة! ولحرصي على أن أرفع رأس السرير ليلاً وأعطيه أشربة مهدّئة كيلا يختنق صدره؛ ولاضطراري إلى أن أتحمّل رائحة فمه الكريهة التي تفوح إلى مدى ثلاث طلقات من البندقية.

الكاتب: قد يكون لوجود ضرس نخر.

العجوز: لا يمكن أن يكون. وليأخذ الشيطان كلّ ضرس أو سنّ باقية في فمي.

المدعي العام: لأن هناك قانونًا يقول، حسبما زعموا، إن رائحة الفم الكريهة قد تكون سببًا لفسخ زواج المرأة من زوجها، أو الرجل من زوجه.

العجوز: الحقيقة يا سادتي، أن هذا النفس الكريه الذي تزعم أنه يفوح مني، ليس صادراً عن أسنان نخرة، لأني لا أملك منها شيئًا. ولا عن معدتي فهي سليمة غاية السلامة. وإنما عن نيّتها السيئة التي تحتدم في صدرها. معرفتكم بهذه السيدة ضئيلة. وأقسم إنكم لو عرفتموها لأثارت مخاوفكم ولاستعذتم منها. قضيت معها اثنتين وعشرين سنة شهيداً، من غير أن أقرّ بوقاحتها وصراخها ومياطها وأوهامها. وها هي ذا تدفع بي منذ سنتين دفعًا حثيثًا نحو القبر. وقد صرت من صياحها شبه أطرش؛ وفقدت عقلي من شدّة خصومتها. وإذا كانت تُعنى بي فهي تُعنى بي كارهة مع أن يد الطبيب المداوي وهيئته ينبغي لهما أن تكونا لطيفتين. وأنا باختصار يا سادتي،

أموت من سطوتها وهي تعيش من قدرتي لأنها
تتصرف بنصف أملاكي .

ماريانا: أملاكك؟ وأية أملاك تملكها غير ما كسبته
من «الدوطة» التي جلبتها لك؟ ولي نصف
ما كسبتَه ، دهتك داهية . وإذا متُّ الآن فلن أترك
لك من دوطتي وأملاكي ما يساوي مرابطية
واحدة ، حتى ترى الحبّ الذي أكنّه لك .

القاضي: قل يا سيد : لما دخلتَ تحت سلطة زوجك ألم
تدخل مَرِحًا سليمًا وبوفاق تام؟

العجوز: قد قلت يا سيد إنني دخلت منذ اثني وعشرين عامًا
تحت سلطة هذه المرأة كمن يدخل تحت سلطة
نخّاس من كالابرا ، للتجذيف في قارب تعذيب
وأشغال شاقّة . دخلت جدّ سليم قولاً وفعلاً
كمن يلعب بالورق .

ماريانا: كذبة صغيرة جديدة . ثلاثة أيام مربوط إلى العمود .

القاضي: اسكتي ، اسكتي ! لا داعي لهذا الكلام يا امرأة
الخير . انصرفي بحفظ الله ، فأنا لا أرى سببًا
للطلاق . أمَا وأنكما أكلتما حلو الثمار فذوقا
المرّ منها . ولا حاجة بالزوج إلى أن يكون في

سرعة الزمان وجريانه لئلا يطرق بابه ويأتي على أيامه. واحسمي السوء الذي يسببّه لك الآن من الطيّبات التي أفاضها عليك لما كان يستطيع. ولا تجيبيني بكلام آخر.

العجوز: أتمنّى أن تنعم عليّ يا سيدي نعمة تزيل الغمّ عن صدري برفع هذا الحصار عنّي؛ لأنني ببقائي على هذا الوضع بعد هذه الخصومة، أسلّم نفسي مرة أخرى إلى يد الجلاّد الذي يضطهدني. وإمّا لا، فلنصنع شيئًا آخر: فلْتحتبْس هي في دير، ولأحتبْس أنا في دير آخر ولنتوزّع الثروة بيننا. وبهذا الشكل نستطيع أن نعيش بقيّة حياتنا في هدوء وفي طاعة الله.

ماريانا: ما أسوأ هذا العمر! أنا لست على استعداد كيما أحتبس! وأنت لا تبلغ مبلغ امرأة مولعة بنصب الحبائل والحيل والنميمة. احتبس أنت، لأنك قادر على المعاناة والاحتمال. فليس لك عينان تبصر بهما، ولا أذنان تسمع بهما، ولا قدمان تسعى بهما، ولا يد تلمس بها. أمّا أنا، فسليمة

البـدن، وأتمـتّع بحـواسي الخـمس تـامّة وحـيّة وأحب استعمالها من غير عائق، وليس من ثقب على شكل حماقة تبعث على الشك.

الكاتب: المرأة متحرّرة!

المدّعي العام: والزوج حذر، لكنه لا يطيق.

القاضي: وأنا لا أستطيع إقرار الطلاق لعدم توفّر الأسباب.

(يظهر جنديّ متأنّق وزوجه دونيا غيومار).

دونيا غيومار: تبارك الله الذي حقّق لي رغبتي في أن أجد نفسي أمامك. وإني أرجوك بأغلى ما أستطيع بأن تتفضّل وتفسخ زواجي من هذا.

القاضي: أي شيء هذا؟ أليس له اسم آخر؟ ولكان من الأفضل لو قلت هذا الرجل.

د. غيومار: لو كان رجلاً لما حاولت الطلاق.

القاضي: إذًا، ما هو؟

د. غيومار: عود حطب.

الجندي: والله، لأني عود حطب في السكوت وتقبّل المعاناة. وبامتناعي عن الدفاع عن نفسي والردّ

على هذه المرأة فلربما مال القاضي إلى الحكم
عليّ. وإذ يحسب أنه يعاقبني فسوف ينتشلني
من الأسر كما يُحرر بمعجزة أسير من
سراديب تطوان.

المدّعي العام: تكلّمي بمزيد من التهذيب، يا سيدة. وقصّي
قصتّك من غير أن تشتمي زوجك. وإن قاضي
الطلاق الماثل أمامك سوف ينصفك.

د. غيومار: إذاً، ألا تريدون أن أسمّي عود حطب تمثالاً
جامداً كلوح من خشب؟

ماريانا: هذه المرأة وأنا نشكو ولاريب ذات الشكوى.

د. غيومار: قل يا سيد، إني زُوّجت هذا الرجل لأنك هكذا
أردت أن أسمّيه. لكنه ليس رجلاً من تزوّجت.

القاضي: كيف ذلك؟ أنا لا أفهمك.

د. غيومار: أعني: أحسب أني زُوّجت رجلاً عاديّاً. وبعد أيام
من الزواج اكتشفت أنه عود كما سبق لي أن
قلت. لأنه لا يعلم يمينه من يساره. ولا يبحث
عن وسائل أو حيل يكسب بها ريالاً واحداً
يستعين به على إقامة أودِ بيته وعائلته. فهو

يقضي الأصباح في سماع القدّاس ويظل قابعًا في باب (وادي الحجارة) منمّا، متسقّطًا الأخبار قائلاً أكاذيب أو مستمعًا إليها. وفي الأماسي وحتى في الأصباح أيضًا يذهب من مقمرة إلى مقمرة، لينضمّ إلى جمهور المتفرّجين الذين يبغضهم المقامرون، كما علمت، أشدّ البغض. ثم يأتي الساعة الثانية بعد الظهر للغداء من غير أن يُعطي ريالاً واحدًا. فلم يكن من عادتهم أن يعطوه شيئًا. ثم ينطلق مرة أخرى ويعود عند منتصف الليل، فيتعشّى إن وجد عشاء. وإذا لم يجد يتعوّذ، ويتثاءب ويضطجع ولا يكفّ كل الليل عن التقلّب. فأسأله ما به فيجيبني إنه ينظم (سونيتو) من الذاكرة من أجل أحد أصدقائه الذي طلبها منه. ويزعم أنه شاعر وكأن الشعر مهنة ليست لها صلة بالفقر في العالم.

الجندي: لم تتجاوز سيدتي دونيا غيومار في كلّ ما قالته حدود العقل والمنطق وإن لم أكن موفّقًا في عملي كما هي موفّقة في قولها. إذ كان ينبغي لي

أن أحـاول الحـصـول على شيء مـا من هنا وهناك، وأظهر بمظهر صغار الرجال من ذوي الطبع الحادّ والصخّابين حاملاً عصا بيدي ممتطيًا بغلة بالكراء هزيلة خبيثة من غير فتى مرافق، لأن أمثال تلك البغال لا تُكرى إلا عند الحاجة. وإذا حرنت حملوا خروجهم الصغيرة على أردافهم واضعين في أحدها ياقة وقمَيصًا، وفي الأخرى نصف قطعة من الجبن وكسرة خبز وأحذيتهم دون أن نضيف إليها ما يلبسونه من ثياب أثناء سيرهم ما عدا واقية الساق ومهمازًا وحيدًا. وببعض العمولة وبشيء من النشاط يطلع أحدهم من منطقة جسر توليدو بربح ما. وخلال بضعة أيام يرسل إلى بيته فخذًا من لحم الخنزير وبعض أذرع من الكتّان الخام وأشياء أخر رخيصة من القطاع الذي يعمل فيه. وبذلك يقوم هذا الخاطئ بأود أهله على خير ما يمكن. أما أنا، فليس في يدي صنعة، ولا أملك مصلحة تدرّ نفعًا، ولا أعلم ماذا أنا صانع، إذ لا يوجد من يستخدمني لأني متزوّج. وهكذا أرى نفسي ملزمًا بأن أتوسّل إليك سيدي

القاضي، أن تفرّق بيننا بناء على طلب زوجي،
لأن البؤس يجعل أبناء الذوات في غيظ شديد.

د. غيومار: هناك شيء آخر فوق ذلك، سيدي القاضي: إذْ
أرى زوجي لا يصلح لشـــيء وهو في فـاقـة،
فإني مســتعدّة للموت كيما أصلح من شـأنه.
لكني لا أستطيع. ذلك أني امرأة شريفـة أجوع
ولا آكل بثديّي.

الـجنـدي: هذا السـبب وحـده يجـعل هذه المـرأة جـديرة
بالحب. لكنها تخفي تحت هذا الحياء أسوأ
طبع في الأرض. فهي تغار من غيـر سـبب،
وتصرخ من غير داعٍ وتتعجرف من غير مال.
وإذ تراني في عوز وفاقة فهي لا تقـدّرني أدنى
تقدير، لكنّ أسوأ ما في الأمر، سيدي القاضي،
أنها تريد منّي لقاء إخلاصها لي أن أتحمّلها
وأُغضي عن الآلاف من إزعاجاتها وسفاهاتها.

د. غيومار: لكن، لا! ولِمَ لا ينبـغي لك أن تراعي شـرفي
واحترامي، إذا كنت بكل هذا الخلق؟

الجنـدي: اسمعي دونيا غيومار: أريد أن أقول لك أمام هؤلاء
السادة: لماذا تحمّلينني عبء خلقك الحسن إذا

كنت ملزمة بأن تكوني كذلك، لأنك تنحدرين من أصل كريم، ولأنك مؤمنة، وتراقبين نفسك؟ لابأس برغبة النساء في أن يحترمهن أزواجهن لأنهن طاهرات شريفات؛ وكأن في ذلك يكمن كمالهن كله، ولا ينظرن إلى البلاليع التي ينزلق فيها جمال ألف فضيلة أخرى يفتقرن إليها. فماذا يجديني كونك طاهرة لذاتك، إذا كنت غافلة عن أن تكون خادمتك كذلك؟ وإذا كنت دائماً دائماً عابسة الوجه غضوباً غيوراً مغتمّة مبذّرة نؤوماً كسلى، شديدة الخصام مزمجرة، إضافة إلى سفاهات أخر من هذا القبيل تكفي للقضاء على حياة مئتي زوج؟ لكني، مع ذلك سيدي القاضي، أقول إن السيدة غيومار ليس فيها صفة من تلك الصفات، وأقرّ بأني عود الحطب والخامل والقاعد والكسول.

وأنت سيدي القاضي، ملزم بموجب القانون وليس لسبب آخر بأن تفرّق بيننا. وإني أقول منذ الآن، ليس لديّ شيء أردّ به على ما قالته امرأتي، وإني أعدّ القضية منتهية، ويسرّني أن يُحكم عليّ.

د. غيومار: وماذا لديك لتردّ به على ما قلته؟ فأنت لا تطعمني، ولا تطعم خادمتي. والأكل ليس كثيراً، إنما هي وجبة واحدة. حتى هذه الوجبة الهزيلة لا يرضى بها جد جد طعامًا له.

الكاتب: اهدأا، ها قد جاءنا متخاصمان جديدان.

يظهر امرؤ يلبس ثياب طبيب جراح وزوجه آلدونثا ده ميناخاس.

الجراح: سيدي القاضي: أربعة أسباب وجيهة جداً جاءت بي لعندك طالبًا التفريق بيني وبين زوجي آلدونثا ده ميناخاس.

القاضي: على الرحب أتيت. قل الأسباب الأربعة.

الجراح: أولاً: لأني لا أطيق رؤيتها، إلا إذا أطقت رؤية الشياطين كلها. وثانيًا: لما تعلمه هي. وثالثًا لِمَا أسكت عنه أنا. رابعًا كيلا تأخذني الشياطين متى رحلت عن هذا العالم إذا ظللت في صحبتها حتى الممات.

المدعي العام: لقد أفصحت عن غايتك غاية الإفصاح.

ميناخاس: سيدي القاضي اسمعني وانتبه إليّ: إن كان زوجي يطلب الطلاق لأربعة أسباب فأنا أطلبه لأربعمئة سبب. أولاً، لأنني كلما رأيته أدرك أني أرى الشيطان نفسه؛ ثانيًا لأني خُدعت لما تزوّجته. لأنه زعم أنه طبيب عام، وتبيّن أنه جراح ومجبّر عظام، ويعالج أمراضًا أخر، يدل على ذلك تقاضيه نصف الأجر الحقيقي لطبيب. ثالثًا، لأنه يغار من الشمس التي تطلع عليّ؛ رابعًا، أريد أن يبعد عني مسافة مليوني فرسخ لأني لا أطيق رؤيته.

الكاتب: من ينجح في إعادة التناغم إلى هذه النفوس التي اضطربت أشدّ الاضطراب!

ميناخاس: خامسًا...

القاضي: سيدتي، سيدتي: إذا كنت تفكرين في أن تسردي علينا الأسباب الأربعمئة فأنا غير مستعدّ لسماعها، ولا مجال لها هنا. قضيتك تحتاج إلى برهان؛ سيري برعاية الله. فلدينا قضايا أخر لنفصل فيها.

الجرّاح: وأية براهين أخر تريدها إذا كنت لا أرضى بالموت معها، ولا هي ترضى بالعيش معي؟

القاضي: إذا كان هذا سبباً كافياً للتفريق بين الأزواج، فما أكثر الأزواج الذين سيرفعون النير عن متونهم!

يظهر رجل بزيّ حمّال لابساً قبّعة ممزقة.

الحمّال: سيدي القاضي، أنا حمّال ولا أنفي ذلك. لكني مسيحي قح ورجل مستقيم. ولولا أني أتناول الخمر، أو بالأحرى هو يتناولني، لكنت قهرماناً في جمعيّة الأخوة الحمّالين. لكن، لنترك ذلك جانباً إذ لديّ كثير من الكلام حوله. وأريدك أن تعلم، سيدي القاضي، أني كنت ذات مرة، صريع الخمرة، فوعدت امرأة ضالّة بالزواج. ولما استعدت وعيي وبرئت من سكرتي، وفيت بكلمتي وتزوّجت امرأة انتشلتها من أحضان الخطيئة وجعلتها بائعة في الساحة. وتبيّن أنها جدّ متعجرفة وذات طبع رديء حتى لم يقترب أحد من بسطتها من غير أن تتشاجر معه، مرّة بسبب بخسها في الوزن، ومرة أخرى بسبب لمس الفواكه؛ وكانت تضرب كل اثنين

من ثلاثة بالصنجة على الرأس أو أينما سقطت، وتعيبهم حتى الجيل الرابع، ولم تنعم جاراتها الثرثارات بساعة من السلام. وكنت مضطراً إلى إشهار السيف كلّ النهار للدفاع عنها. وما كنت أكسب ما يكفي لدفع الغرامات، ولا عقابيل مشاداتها. أريد إن شاءت سيادتكم، أن أنفصل عنها، أو على الأقل، أن تبدّل طبعها المشاكس بطبع آخر أرضى وأهدأ، وإني أعد سيادتك مسبقًا بأنني سأفرغ لك مجانًا كل الفحم الذي تبتاعه هذا الصيف، فأنا أتمتّع بحظوة لدى تجّار الساحل.

القاضي: انظروا يا سادة: لئن جاء بعضكم بحجج توجب الحكم بالطلاق، من اللازم مع ذلك، أن تُسجّل الأقوال كتابة، وأن تأتوا بشهود. لذلك أستقبلكم هنا جميعًا على سبيل التجربة... لكن، ما هذا؟ أو موسيقى وقيثارات في قاعة المحكمة؟ ما أكبرها من جِدّة!

يظهر موسيقيان.

موسيقيان: سيدي القاضي: أرسلنا ذاكما الزوجان اللذان كانا متنافرين جداً وأصلحت ذات البين بينهما

وردتهما إلى جادّة الصواب وسكّنت من ثائرتهما، كيما نرجوك باسمهما حضور حفلة كبرى أقاماها في بيتهما وهما بانتظار تشريفك لهما.

القاضي: سألبّي الدعوة بطيب خاطر. وأسأل الله أن يتصالح الآخرون كما صنع هذان.

المدعي العام: بهذه الطريقة سيموت كتّاب المحاكم والمدّعون العامّون جوعًا؛ لكن، لا، ولا، ولا! بل فليتقدّم كلّ الناس بطلبات الطلاق، لأن معظمهم سيظل كسابق عهده في نهاية الأمر، ونكون نحن قد تمتّعنا بثمرة خلافهم وحماقاتهم.

موسيقيان: علينا أن نذهب منذ اللحظة لنتمتّع بالحفلة. **(يغنيّان)**.

إذا وقعت خصومة

بين زوجين شريفين

فإن أسوأ صلح

خير من خير طلاق.

إذا كانت الورطة

التي تورّطا فيها بسيطة

فإن الخصام يوم سادن خوان

يصبح برداً وسلاماً كلّ العام .

وينبعث من ثمّ الشرف

والسرور اللذان كانا راقدين .

يومئذ، أسوأ صلح

خير من خير طلاق .

لئن كان سعار الغيرة

جد قوي وحاد

يصبح نعيماً وليس غيرة

إذا كانت وراءه امرأة جميلة .

ولإله الحب، وهو

أعلم العالمين، رأي :

هو أن أسوأ صلح

خير من خير طلاق .

ميغيل ده ثربانتس

ولد ثربانتس في مدينة (قلعة هينارِس) عام ١٥٤٧؛ وتلقّى تعليمه الأوليّ في مدريد، ثم مالبث أن انخرط في سلك الجندية. وجرح عام ١٥٧١ في معركة ليبانتو البحرية التي جرت بين الإسطولين العثماني والإسباني جرحًا بليغًا في صدره ويده اليسرى فأدّى إلى شللها. لكنه ظلّ يغذي الإشاعة بأنها مقطوعة، لذلك كان يدعى بالأقطع. ثم وقع في أسر البربر الجزائريين لما كان مبحراً من إيطاليا إلى إسبانيا، ومكث في الأسر خمسة أعوام ونصف العام حتى فُكّ أسره بمعونة إحدى الجمعيات الخيرية لقاء مبلغ ضخم من المال، قُبيل نقله إلى الأستانة لبيعه في سوق الرقيق.

عمل بعد عودته من الأسر جابيًا متنقلاً للضرائب، لكنّه سُجن لخلل في حساباته المالية، ولاتهامه باختلاس بعض الأموال؛ ومرة أخرى لوجود قتيل على باب داره.

ألّف في الأسر بعض المسرحيات لم تلق نجاحًا، وكتب عام ١٥٨٥ رواية (لاغالاتيا) الرعوية. لكنّ شهرته طبّقت الآفاق بعد صدور الجزء الأول من الدون كيخوته ديلا

منتشا عام ١٦٠٥، الذي طُبع منه طبعات عدة في عام واحد، وتُرجم إلى مختلف اللغات الأوروبية، حتى بوغت عام ١٦١٥ بصدور نسخة منحولة من الجزء الثاني من الكيخوته. فما عتم أن أصدر قبل وفاته عام ١٦١٦ الجزء الثاني الحقيقي، لكنه كان يكتب أثناء تلك المرحلة الممتدة بين صدور جزئي الكيخوته الإنترمس والقصص التي ختمها قبل عام ١٦٠٩ ونشرها عام ١٦١٣ تحت عنوان القصص المثالية، وهي نوع من القصص الطويلة ترجمنا منها قصة زواج بالخديعة وحديث كلبين.

توفي في نيسان عام ١٦١٦. وصدر له بعد وفاته كتاب: سيخسموندا وبرْسيليس.

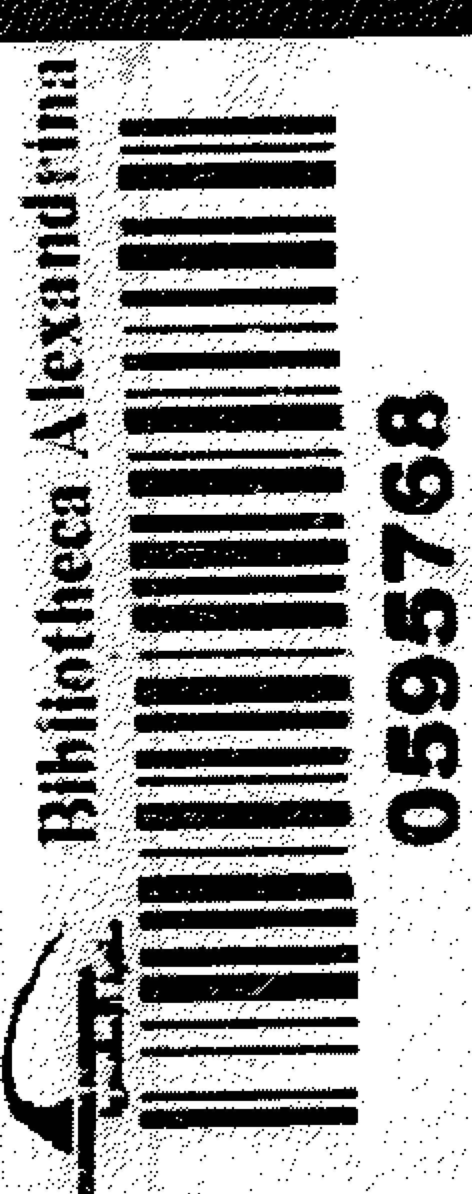
ظلّ ثربانتس على عكس معظم كتاب عصره وفيّاً لمثل عصر النهضة، فهو على الرغم من الكوارث التي حلّت به ظلّ متفائلاً، مقابلاً عسف الحياة بنوع من الفكاهة الجميلة الخالية من المرارة.

الفهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٢

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





سعر النسخة داخل القطر ١٣٥ ل.س — في الأقطار العربية م